المجلد
الثامن
والأربعون

المجلد ٤٨

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة اسلامية شهرية جامعة

العدد الثاني — شوال المكرم ١٤٢٣هـ

في هذا العدد

استيلاء الفلسفه الاوربية على العالم
لمحة في تأويل قول الله عزوجل : (و إن منكم إلا واردها)
تكوير الشمس والقيامة في ضوء الكتاب والسنة والعلم الحديث
منهج الرسول الكريم ﷺ في الدعوة - منهج الدعوة في مكة المكرمة
فاعلموا إن كنتم لا تعلمون !
العبادات و قوة البدن
مكانة السنة من القرآن الكريم
نظرة عابرة على القضاء ؛ والقضاة في الإسلام
دور القنوات الفضائية وقدرتها الإعلامية في حياتنا المعاصرة
بين الأدب العربي و الأدب الإسلامي
حب المشفع صلى الله عليه وسلم
الأستاذ أنور الجندي : كما عرفته
أوربا المنهوكة و أمريكا الطائشة

مؤسسة الصحافة والنشر

Fax : 0522-787310

MAJALLAH
AL-BAAS-EL-ISLAMI
(Monthly)

RNI No. (U.P. ARA/2000
Regd. No.LW-NP/64/200

Vol.48 Issue.1

Oct-Nov 2002

صدر حديثا:

بصيرة الدعوة
و فهمها و إدراكها

دراسة و استعراض للعمل الدعوي العميق الوسيع الذي تم في عهد
إمارة حضرت جي الثالث سماحة الشيخ محمد إنعام الحسن الكاندهلوي
رحمه الله تعالى الممتدة على اثنتين و ثلاثين سنة ، و وثيقة قيمة لانطباعاته
و آرائه و أفكاره و لفهمه للدعوة و البصيرة فيها .

تأليف

السيد محمد شاهد السهارنفوري
امين عام جامعة مظاهر علوم سهارنفور
الولاية الشمالية (الهند)

قامت بالطبع و التوزيع
مكتبة الشيخ التذكارية محله مُبَارك شَاه
سهارنفور الولاية الشمالية (الهند)
MAKTABA YAADGAR-E-SHAIKH
MOHALLA MUBARAK SHAH, SAHARANPUR - 247001 U.P.

١٩١٨
١٣٧٢٩٥

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد الثامن والاربعون

العدد الثاني
شوال المكرم ١٤٢٣هـ
نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم . (أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)
تلفون : ٠٥٢٢-٧٨٧٢٥٠

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph: 0522-787250

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه ان يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الإشتراكات السنوية
في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية
في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و
٤٠/دولاراً بالبريد الجوي
☆☆☆
عنوان المراسلات
ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)
☆☆☆
وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)
☆☆☆
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL-ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
☆☆☆

* المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

الإمام الندوي رحمه الله ، يتحدث عن : استيلاء الفلسفة الأوربية على العالم ٣

الافتتاحية :

فاعلموا ؛ إن كنتم لا تعلمون ! سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي :

لمحة في تأويل قول الله عزوجل : (وإن منكم إلا واردها الأستاذ عبد الرشيد الندوي ٩

تكوير الشمس والقيامة في ضوء الكتاب والسنة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي (رحمه الله تعالى) ٢٠

الدعوة الإسلامية :

منهج الرسول الكريم ﷺ في الدعوة الأستاذ عبد السلام سعيد كريم ٢٦

العبادات ؛ وقوة البدن الدكتور أحمد عبده عوض ٣٤

دراسات في السنة :

مكانة السنة من القرآن الكريم الدكتور محمد روح الأمين ٣٧

الفقه الإسلامي :

ظرة عابرة على القضاء ؛ والقضاة في الإسلام (٣/الأخيرة) الأستاذ محمد أسجد القاسمي ٤٨

دراسات و أبحاث :

ر القوات الفضائية وقدرتها الإعلامية في الدعوة الاسلامية الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي ٥٢

في الشعر و الأدب :

ن الأدب العربي ؛ والأدب الإسلامي الدكتور مسعود راجي ٦٥

ب المشفع صلى الله عليه وسلم (شعر) الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني ٧٣

من أعلام التاريخ الإسلامي المعاصر في مصر

أستاذ أنور الجندي كما عرفته الدكتور غريب جمعة ٧٦

حب الدين الخطيب ؛ وخدماته في الصحافة الدكتور محمد طارق القاسمي الأعظمي ٨٢

صور و أوضاع :

ربا المنهوكة وأمريكا الطائشة الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي ٨٧

أخبار اجتماعية و ثقافية :

يان الختامي وتوصيات المؤتمر السادس للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ٩٠

بطة الأدب الاسلامي العالمية ؛ تعقد مؤتمرها السادس في القاهرة الأستاذ د/عبد القدوس أبو صالح ٩٢

لاقات السعودية الأمريكية ؛ وقضية فلسطين (تعريب من الانجليزية) الأستاذ إقبال أحمد الندوي ٩٥

جولة في مدارس الهند الإسلامية قلم التحرير ٩٧

مدارات جديدة ١٠٠

نس رحمة الله تعالى ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلامة الندوي رحمه الله ، يتحدث عن :

استيلاء الفلسفة الأوربية على العالم

"ليس على وجه الأرض اليوم أمة أو جماعة تخالف الأمم الغربية في عقائدها ؛ ونظرياتها ؛ وتزاحمها في سيرها ؛ وتعارضها في وجهتها ؛ وتناقشها في مبادئها ؛ وفلسفتها الجاهلية ، ونظام حياتها المادي ؛ لا في أوربا ؛ ولا في أمريكا ، ولا في أفريقيا وآسيا ، والذي نرى ونسمع من خلاف سياسي ؛ ونزاع بين الأمم ؛ فإنما هو تنافس في القيادة ، وتنازع فيمن يكون هو القائد إلى هذه الغاية المشتركة ، فدول المحور إنما كانت تكره أن يبقى الحلفاء مستبدين بالقيادة العالمية منذ زمن طويل ، مستأثرين بموارد الأرض ؛ وخيراتها ؛ وأسواقها ؛ و مستعمراتها ، وبشرف السيادة على العالم وحدهم مع أنها لا تقل عنهم في القوة ؛ والعلم ؛ والنظام ؛ والنبوغ ؛ والذكاء ، بل ربما تفوقهم ، أما إنها كانت تريد أن تسير إلى غاية أخرى ، وأن تقوم بدعوة المسيح ، وتقيم في الأرض القسط ، وأن تقود الأمم إلى الدين والتقوى ؛ وتنصرف بها؛ وتتجه من المادية إلى الروحانية والأخلاق ، فهيهات هيهات .

أما روسيا الشيوعية ؛ فليست إلا ثمرة الحضارة الغربية ، قد أينعت وأدركت ، ولا تمتاز عن الشعوب والدول الأوربية إلا أن روسية قد خلعت جلباب النفاق والزور ؛ ونفذت ما تزوره ؛ وتبطئه الأمم الغربية منذ زمن طويل ، وتعتقده منذ قرون في الأخلاق والاجتماع ، وقد استبطأت روسية سير هاتيك الأمم والدول في سبيل الإلحاد و اللادينية ؛ والإباحة المادية البهيمية ، فهي تريد أن تتولى قيادة العالم ، وتسير بالأمم الإنسانية سيرا حثيثا إلى ما وصلت إليه .

* * *

الافتتاحية :

فاعلموا : إن كنتم لا تعلمون !

أجمعت القوى المناوئة للإسلام على أن التوجيهات التي تولتها الشريعة الإسلامية لبناء حضارة إنسانية شاملة ، لم تعد صالحة لقيادة العالم البشري المعاصر ، وهي بحاجة ملحة إلى تعديل أساسي بنقص بعض المواد منها ؛ وزيادة البعض الآخر ؛ في ضوء المتطلبات الحضارية والاجتماعية التي لا مناص منها في قرن العلم المتطور ؛ والتقنية المتجددة في كل لحظة ، ولقد كانت الصحوة الإسلامية الكبيرة المثيرة التي شهدها التاريخ الحديث بعد الأحداث الأخيرة في العالم الغربي ؛ وفي الولايات المتحدة بالذات ؛ قد أقلقت بال المعنيين بهذا الموضوع ؛ وأقضت مضاجع الدوائر المناوئة التي لا يهمها شيئ مثل ما يُهمها مهمة تشويه صورة الإسلام النقية النيرة ، ذلك لكي تتمكن من سد المنافذ التي يتسرب منها الشعور إلى القلوب بالتوجه ؛ نحو دراسة القرآن الكريم ؛ والرغبة في الاندماج إلى الأسرة الإسلامية ، وكيف لا يُقبل الباحثون عن الأمن والسلامة ، والهدوء ، والطمأنينة ، على ما إذا كان هناك منهج للحياة يوفر هذه الضالة ؛ ويتكفل لصاحبه بالسعادة الدائمة .

من خلال هذا القلق واليأس جاءت برامج عديدة لإثارة الشكوك في الشريعة الإسلامية ، وإثبات أنها فقدت اليوم ذلك التأثير القوي الذي عُرفت به في تاريخها المبكر ، وصارت اليوم بأمس حاجة إلى تعديل وتغيير ، حتى لا يتخلف الإنسان المسلم عن الركب الحضاري السريع ، فيفقد مكانته بين

شعوب العالم وأممه ؛ وليست المؤتمرات والملتقيات التي تعقد بين فينة وأخرى ، وفي بلد دون بلد ، بعنوان : "وحدة الأديان" إلا خطة مدبرة لتبرير التنازل عن بعض الثوابت الأساسية في الإسلام ؛ وقبول بعض التعليمات ؛ والطقوس من بعض الديانات الأخرى ، واعتبار أن الديانات كلها تنبع من نبع واحد ، وتنحدر من أصل واحد ، وكلها تلتقي في العقائد والسلوكيات ؛ وخدمة الإنسان على مبدء واحد ، وقد انخدع عدد لا بأس به من المثقفين والأميين على السواء بهذه التضليلات ، وباتوا يفكرون مثل تفكير أصحاب الزيغ والضلال ، ولم يروا بأسا فيما إذا قاموا بأداء واجب العبودية لله تعالى بأي طريق من طرق أصحاب الديانات الأخرى .

يدور اليوم نقاش - بتأثير هذه البرامج التشكيكية - حول الإسلام بالذات ، وذاك أن المسلمين لفي حاجة إلى إسلام الاعتدال الجديد ؛ لا إلى إسلام التطرف القديم ، ويراد بالاعتدال أن يقصى منه بعض الأحكام التي تدعو المرء إلى العنف والإرهاب - فيما يزعمون - ؛ أو تبعث على التفرقة بين أتباع الديانات ، وإلغاء بعض الطقوس المعروفة في الديانات السابقة ، والحيلولة بين تقريب المفاهيم الدينية ، وقد صرح بعض الحاقدين على الإسلام بأنه لابد من التعديل في الكتاب والسنة ؛ وإخراج الآيات والنصوص منهما ؛ التي تثير النفور في النفوس ؛ وتساعد على تربية الضغائن فيها ؛ وتحبط الجهود كلها التي تبذل في مجال الانسجام الطائفي ؛ كما صرحت جماعة من المتعصبين المتطرفين بأن الإسلام فقد هويته ، وأصبح لاجئا في بلاد الهند - مثلا - لأول مرة ، وما إلى ذلك من أباطيل وأكاذيب ، فإن دلت هذه الأقاويل على شئ فإنما تدل على ما يكن أعداء الإسلام من الغيظ والحنق ؛ والحقد العميق على دين الإسلام الذي هو دين الله . وهو الملجأ الأخير

والمنجى ؛ وهو الذي من على الإنسان بإنقاذه من شفا حفرة من النار التي كان واقفا عليها ؛ وكاد يهلك فيها للأبد .

إن هذا الدين مفطور على طبيعة الإنسان ، فمهما كان الإنسان ، يرشده الدين ويوفر له جميع ما يحتاج إليه في أي زمان ومكان ، فذلك هو الدين القيم الذي يدوم مع بقاء النوع البشري في هذا العالم ؛ ويوجهه بصفة مستمرة من غير نقص ؛ أو عيب ؛ أو زيغ ، وقد بعثت مع هذا الدين الخالد الشامل الكامل ، أمة وسط ، لكي تقوم بواجب الشهادة على الناس في ضوء توجيهات الرسول المصطفى خاتم النبيين محمد ﷺ ، الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، ومنقذا للبشرية من ذلك الشقاء الذي كانت غارقة فيها إلى الآذان . وكانت تؤدي ضريبة الحب والعبودية للأوثان والأصنام المنحوتة من الأحجار والأخشاب الحقيرة ، ولم تكن الجزيرة العربية وحدها عائشة في الوثنيات والشركيات ، بل كانت بلدان الشرق والغرب كلها خاضعة أمام الأوثان رغم الحضارة التي كان أهلها يعتزون بها ويعتبرونها مفخرة متفردة لهم في الدنيا كلها . فكانوا بعيدين عن معرفة ذلك الهدف العظيم الذي خلق العالم البشري من أجله . فلم تكن حياة الإنسان تسير على الخط المستقيم ، ولا كانت تعرف الطريق المسلوك ، رغم وجود بعض الآثار من الديانات السابقة ؛ والتعاليم الخلقية التي اتبعها الناس من غير هدى ولا بينة ، فما يوجد اليوم من الانتماءات إلى ديانات مختلفة ليس إلا أثرا ضئيلا لما يتوافر في بعض هؤلآء المنتمين إليها من شعور بالقيم الخلقية أو الاعتقاد بتعاليم الأنبياء وأتباعهم .

وإن شئتم فاسألوا من هداهم الله إلى دين الحق - وهم كثيرون لا يأتي عليهم الحصر - كيف كانت حياتهم قبل أن يدركوا نعمة الإسلام ، ويظفروا

بالسعادة التي توافرت لهم بعد الاهتداء إلى دين الحق والعدل ؛ والحب ؛ والأمن ؛ والسلام ، لقد كانوا يعيشون في نفق مظلم يضيق عليهم الخناق ، ولما من الله عليهم بالإيمان واليقين إذا بهم ينتقلون إلى آفاق واسعة من النور والهدوء ، وكأنهم فازوا بحياة جديدة ؛ وخلقوا من جديد ، وكانوا يتخبطون كالعشواء في ظلام الجاهلية والكفر ؛ فخرجوا منها إلى أجواء نيرة ذات عز ورخاء ؛ وحياة مطمئنة ؛ يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فلا أثرة ولا خداع ، ولا ظلم ولا غمط حقوق ؛ ولا حب المال والجاه ؛ ولا رذيلة ولا منكر؛ إنما هو الإيثار والنصح والأخوة والحب والعدل والعطاء ، والبذل والسخاء ، و الفضائل من كل نوع ، والمعروف ؛ والالتجاء إلى الله تعالى في كل شأن من الشئون .

ولو لا أن الحاقدين على الإسلام وتعاليمه ؛ والقيم الخلقية ؛ والمثل العليا التي يوفرها للإنسان ، كانوا على آخر هاوية من أرذل الرذائل ، و كانوا عائشين في آخر درجة من البهيمية ؛ خالعين كل لباس من الإنسانية ، ولو لا أنهم كانوا على هذه السفالات والرذائل التي لا يتصور ؛ حتى في البهائم ، لم يرضوا بمحاربة الفضائل والقيم الإنسانية المثلى ؛ ولوجدوا ضالتهم في الإسلام ، ولكن الواقع أن هؤلآء المارقين عن حدود الإنسانية ، العائشين في قاذورات السلوكيات ، لا يدعون فرصة إلا ويهاجمون فيها على الإسلام ، ولا يتركون سهما من سهامهم المسمومة إلا ويصوبونه إليه ، ذاك أن الإسلام هو الدين الحق الذي يقف عائقا في طريقهم نحو هاوية الشقاء والتعاسة ، و هم يظنونها طريق العز و السعادة : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ◦ ولهم أعين لا يبصرون بها ◦ ولهم آذان لا يسمعون بها ◦ أولئك كالأنعام ◦ بل هم أضل ◦ أولئك هم الغافلون ﴾ .

إن ما يمر علينا اليوم من أمثلة كثيرة لعمليات عدائية يظن بها أعداء الإسلام أنها تكفي لاقتلاع جذور الإسلام ، ليس ذلك إلا ظاهرة لخداع النفس ،

والإعجاب بالقوة المادية ؛ والاستكبار والجنون . فإن دين الله أرفع وأقوى من أن يتأثر بمزاعمهم و بعزائمهم التي يمارسونها من غير حياء ، و بكل وقاحة . إنه ليس كالديانات والحضارات التي مضت وبادت ، وليس كالأنظمة الوضعية والإقليمية التي يضعها الواضعون ؛ ويتناولونها بالتغيير والتبديل حسب الأهواء والظروف .

فليعلم الذين لا يعلمون أن الإسلام دين الله الأخير ، قد شمل كل جانب من جوانب الحياة ؛ والكون ؛ والإنسان . فلا نهاية له ؛ ولا تغيير فيه ؛ ولا تعديل . وإنما هو دائم قائم باق إلى يوم الدين ، ومهما بذل الباذلون جهودهم لإثبات أنه دين الرجعية و الأصولية ، و مهما سموه بأسماء ، و وضعوا في سبيله عراقيل وعوائق ، ولكنه لا يفقد حيويته ونضارته وضرورته ، مثقال ذرة ، بل وسيبقى دين الإنسان في كل زمان ومكان ؛ ودين الحضارة والعبادة ؛ ودين الروح والمادة ؛ ودين العقل والقلب ؛ ودين المسجد والمحكمة ؛ ودين الكسب والإنفاق ؛ ودين السياسة العادلة والبرلمان ؛ ودين الاقتصاد الحلال والتجارة ؛ والأسواق الحرة ، فلا يدعو إلى الرهبنة والزهد من الدنيا ، والانقطاع عن شئون الحياة ؛ والانصراف عن كسب المعاش . إنه يمثل الجمع المتزن بين حسنات الدنيا كلها ؛ وحسنات الآخرة كلها ، ويعلن عن ذلك فيقول :

﴿ فمن الناس ◦ مَن يقول ربنا آتنا في الدنيا ◦ وما له في الآخرة من خلاق ◦ ومنهم مَن يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنةً ◦ وفي الآخرة حسنة ◦ وقنا عذاب النار ◦ أولئك لهم نصيب مما كسبوا ◦ والله سريع الحساب ﴾

وصدق الله العلي العظيم – والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

سعيد الأعظمي

١٤٢٣/٧/٢٢هـ

التوجيه الإسلامي :

لحة في تأويل قول الله عزوجل

﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾

بقلم : الأستاذ عبد الرشيد

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد ؛ وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ أما بعد :

فإن قول الله – عز اسمه وجل شأنه – : ﴿ و إن منكم إلا واردها * كان على ربك حتما مقضيا ﴾ [سورة طه/٧١] من الآيات التي قد اعتركت في تأويلها الآراء ؛ واختلفت في تفسيرها الأقوال في السلف والخلف ، وذكر الإمام الطبري في ذلك ستة أقوال :

١. الورود ؛ هو الدخول ؛ وهو عام لكل مؤمن وكافر .
٢. الدخول ؛ هو المرور على جهنم .
٣. الورود الدخول إلا أنه خاص بالكفار دون المؤمنين .
٤. الورود عام غير أن ورود المؤمن المرور و ورود الكافر الدخول .
٥. ورود المؤمن ما يصيبه من الحمى والمرض .
٦. يردها الجميع ثم يصدرون بأعمالهم [تفسير الطبري : ٣٦٦/٨] ؛ وزاد الزمخشري والرازي ؛ قولا : الورود الدنو من جهنم ؛ وأن يصيروا حولها ؛ وهو موضع الحساب . [التفسير الكبير : ٢٤٣/٢١]

وهذه الأقوال كما ترى متداخلة ؛ وهي تتبلور في :

١. أن الخطاب في الآية عام ؛ أو
٢. هو خاص بالكفار ؛ فإن كان خاصا ؛ فلا حاجة إلى التفصيل؛ وإن

كان عاماً ؛ فما معنى الورود بالنسبة إلى المؤمنين المتقين ، أما الكفار ؛ فلا حاجة إلى الكلام فيهم ؛ لأنهم يدخلون النار؛ ويَصْلَونها ؛ ويخلدون فيها؛ فوقع في هذه المسألة اختلاف على ثلاثة أقوال :

١- الورود للمؤمنين أيضاً ؛ هو الدخول فيها لكنها تكون لهم باردة .

٢- هو المرور عليها .

٣- هو الحضور للحساب والرؤية لها .

فتعال معي – أيها القارئ الكريم – نستعرض هذه الأقوال ؛ ونعرضها على محك النقل والعقل ؛ فنأخذ أولاً مسألة عموم الخطاب ؛ أو خصوصه ، فاعلم أن أكثر العلماء على الأول ، وروى الطبري في تفسيره ؛ رقم/٢٣٨٤٧ ، حدثنا ابن المثنى ؛ قال : حدثنا أبو داؤد ؛ قال : حدثنا شعبة ؛ قال : أخبرني عبد الله بن السائب عن رجل أنه سمع ابن عباس ؛ يقرأها : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ يعني الكفار ؛ قال : لا يردها مؤمن .

وروى مثل ذلك بسند صحيح عن عكرمة أيضاً ، وترى أن في السند إلى ابن عباس رجلاً مجهولاً ؛ فهو ضعيف ، وإن صحّ ذلك عن ابن عباس ؛ وعن عكرمة ؛ فتأويله أنهما يريدان أن المؤمن لا يرد جهنم خالداً فيها – والله أعلم – .

الآن نأتي إلى الأقوال المبنية على تسليم أن الآية عامة :

فالقول الأول :

أن المراد بالورود ؛ هو الدنو ؛ والقرب ؛ والحضور للحساب حول جهنم ، واستدل أصحاب هذا القول بقول الله تعالى : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى * أولئك عنها مُبعدون * لا يسمعون حسيسها ﴾ .

و استدلوا باللغة ؛ لأن الورود يطلق على المجيئ إلى جانب الماء كما في قوله تعالى : ﴿ و لما ورد ماء مدين * وجد عليه أمة من الناس يسقون ﴾

و أراد به القرب ؛ و في قوله : ﴿ فأرسلوا واردهم * فأدلى دلوه ﴾ ؛ ومعلوم أن ذلك الوارد ما دخل الماء ، ويقال : وردت القافلة البلدة ؛ وإن لم تدخلها .

القول الثاني :

هو أن المراد بالورود ؛ هو الدخول ، وهو القول المشهور عن ابن عباس ﷺ ؛ أخرج الطبري ؛ رقم/٢٣٨٣٣ بسنده إلى عمرو بن دينار ؛ قال : أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق ؛ فقال ابن عباس : الورود الدخول ، وقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * أنتم لها واردون ﴾ أورود ؛ هو أم لا ؟ و قرأ : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة * فأوردهم النار ﴾ أورود ؛ هو أم لا ؟ أما أنا وأنت ؛ فسندخلها ؛ فانظر : هل نخرج منها أم لا ، ثم ذكر مثله بسنده إلى ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ؛ والمخاصم فيه أبو راشد ؛ وهو كنية نافع بن الأزرق .

وأقوى ما يحتج به أصحاب هذا القول وأصرحه ما أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين : ٤/٦٣٠ ؛ قال : حدثني علي بن حمشاد العدل ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ والحسين بن الفضل البجلي ؛ قالا : حدثنا سليمان بن حرب ثنا أبو صالح غالب بن سليمان بن حرب عن كثير ابن زياد أبي سهل عن مسة الأزدية – حرف في المطبوع إلى منية – عن عبد الرحمن بن شيبة ؛ قال : اختلفنا هاهنا في الورود ؛ فقال : قوم لا يدخلها مؤمن ؛ وقال آخرون : يدخلونها جميعا ؛ ثم ينجي الذين اتقوا ، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه ؛ فقال : صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ ؛ يقول : "الورود الدخول ، لا يبقى بر ؛ ولا فاجر إلا دخلها ؛ فتكون على المؤمن بردا وسلاما ؛ كما كانت على إبراهيم ؛ حتى إن للنار أو لجهنم ضجيجا

من نزفها ؛ ثم قال : ثم ينجي الله الذين اتقوا ؛ ويذر الظالمين فيها جثيا ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ؛ ولم يخرجاه ، و وافقه الذهبي ؛ وأخرجه أحمد في مسنده ؛ رقم/١٤٥٣٠ عن كثير بن زياد عن أبي سمية ؛ قال : اختلفنا هاهنا في الورود ؛ ثم ساق الحديث ... قال الهيثمي في : "مجمع الزوائد" : ٥٨/٧ ؛ رجال أحمد ثقات .

هذا الحديث صححه الحاكم – وأنت تعرف حال تصحيحه – مع أن في سنده مسة الأزدية لم يرو عنها إلا كثير ؛ وقال الدار قطني : "لا يحتج بها" ؛ ثم إن الذهبي وافق الحاكم على ذلك ! وقد قال في ميزان الاعتدال : ٦١٠/٤ : "مسة الأزدية عن أم سلمة ؛ وعنها أبو سهل كثير بن زياد : "تجلس النفساء أربعين" ؛ قال الدارقطني : لا يحتج بها ، قلت : "لا يعرف لها إلا هذا الحديث" ؛ انتهى قول الذهبي ، و أما إسناد أحمد ؛ فإن كثير بن زياد يروي فيه عن أبي سمية عن جابر ، قال الذهبي في الميزان : ٥٣٤/٤ : "أبو سمية عن جابر مجهول" ؛ فأبو سمية و مسة كلاهما مجهول ، ثم إن الراوي عنهما هو كثير بن زياد ؛ وثقه النسائي ؛ وابن معين ؛ وأبو حاتم ، وقال ابن حبان في "الثقات" : ٣٥٣/٧ : "كان ممن يخطئ" ؛ وقال الذهبي في الميزان : ٤٠٤/٣ : "أستحب مجانبة ما انفرد به ؛ وهو الذي روى عن مسة عن أم سلمة : "كانت النفساء على عهد رسول الله ﷺ تعقد أربعين يوما" انتهى ، نظرا إلى كل ذلك ؛ قال ابن كثير بعد هذا الحديث "غريب ولم يخرجوه" تفسير ابن كثير : ١٣٢/٣ ؛ إلا أنه ذكر الحافظ في "تهذيب التهذيب" : ٤٥١/١٢ كلاما يرفع الجهالة عن مسة الأزدية ؛ فقال : "قلت : وذكر الخطابي وابن حبان أن الحكم بن عتيبة روى عنها أيضا" انتهى ؛ وقال صاحب "أضواء البيان" : ٣٥١/٤ : "الظاهر أن الإسناد المذكور – يريد إسناد أحمد – لا يقل عن درجة الحسن" أهـ .

القول الثالث :

إن المراد بالورود ؛ هو المرور عليها ؛ وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ؛ وقتادة ؛ ذكره الطبري بسنده إليهما ، والدليل على هذا القول ؛ هو ما رواه الإمام مسلم في صحيحه ؛ رقم/١٩١ عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود ؛ قال : نحن يوم القيامة على كذا وكذا ؛ أنظر أي ذلك فوق الناس ؛ قال : فتدعى الأمم بأوثانها ؛ وما كانت تعبد الأول فالأول ، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك ؛ فيقول : من تنظرون ؛ فيقولون : نحن ننظر ربنا ؛ فيقول : أنا ربكم ؛ فيقولون : حتى ننظر إليك ؛ فيتجلى لهم يضحك ؛ فينطلق بهم ويتبعونه ، ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورا ؛ ثم يتبعونه ، على جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ؛ ثم يطفأ نور المنافق ؛ ثم ينجو المؤمنون ، فتنجو أول زمرة ؛ وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء ، ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة ؛ ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، و كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ؛ فيجعلون بفناء أهل الجنة ، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ، حتى ينبتوا نبات الشئ في السيل ، ويذهب حراقه ؛ ثم يسأل حتى يجعل له الدنيا ؛ وعشرة أمثالها معها ؛ وأخرجه الإمام في مسنده بسند صحيح ؛ رقم/١٥١١٥ ، و فيه التصريح برفع هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ حيث قال جابر رضي الله عنه فيه : سمعت النبي الكريم ﷺ: فينطبق بهم ويتبعونه ... الحديث .

القول الراجح ؛ وهو القول الرابع :

إنني تذاكرت مع بعض إخواني في هذا الموضوع ؛ وقلت : ما هو الراجح عندكم من هذه الآراء ؛ فانقسموا إلى فرقتين : الأولى : وفيها أغلبهم ، قالت : إن الراجح هو المرور على جسر جهنم ؛ والثانية : وفيها

عدد لا بأس به ، قالت : الراجح هو دخول النار إلا أنها تكون على المؤمنين بردا وسلاما ، واحتج هؤلآء بحديث جابر ﷺ عند الحاكم ، وأدليت برائي قائلا : إني أرى سبيل الجمع و التطبيق بين هذين أقرب وأمثل ، وأن المؤمنين يمرون على جسر جهنم ، وهو المراد بورودهم ، إلا أن هذا المرور يصح أن نعبر عنه بالدخول على التجوز والتوسع .

ثم اعترض علي أحدهم – جزاهم الله جميعا خيرا – و وجه سؤالا مهما : هل رأيت أحدا من السلف يسلك طريق الجمع ؛ و يرتئي بهذا الرأي ؟ فكان الجواب مني : لا ! وأثار ذلك في نفسي رغبة في البحث والخوض ؛ فرأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قد اختار هذا ، وأنني متبع له حذو القذة بالقذة ؛ وحذو النعل بالنعل – والحمد لله أولا وآخرا – .

قال الحافظ في "فتح الباري" كتاب الجنائز ؛ باب/٦ ؛ رقم الحديث/١٢٥١ : "اختلف السلف في المراد بالورود في الآية ؛ فقيل : هو الدخول ..... وقيل : المراد بالورود الممر عليها ؛ رواه الطبري وغيره من طريق بشر بن سعيد عن أبي هريرة ، ومن طريق الأحوص عن عبد الله ابن مسعود ، ومن طريق معمر وسعيد عن قتادة ، ومن طريق كعب الأحبار ..... وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك ، ولا تنافي بينهما لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور ، و وجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها ، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم ؛ فأعلاهم درجة من يمر كلمح البرق ، ويؤيد صحة هذا التأويل ما رواه مسلم من حديث أم مبشر أن حفصة ؛ قالت للنبي الكريم ﷺ لما قال : "لا يدخل أحد شهد الحديبية النار" : "أليس الله تعالى يقول : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فقال لها : "أليس الله تعالى يقول : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ انتهى قول الحافظ .

قول الحافظ بأن من عبر من السلف بالدخول تجوز به عن المرور ؛ قد لا يستقيم على إطلاقه ، و الحافظ نفسه لم يرد الإطلاق بل الغالب ، وفي تعبير أصح إنما أراد بالسلف الصحابة و التابعين وأمثالهم ، فإن بعض العلماء يميل إلى أن الدخول ؛ هو على الحقيقة ؛ كما قال القرطبي في تفسيره المسمى : "الجامع لأحكام القرآن" : ١٣٨/١١ : "وقال الأكثر : المخلطب العالم كله ؛ ولابد من ورود الجميع ، وعليه نشأ الخلاف في الورود ؛ وقد بينا أقوال العلماء فيه ، وظاهر الورود الدخول لقوله عليه الصلاة والسلام : "فتمسه النار" لأن المسيس حقيقة في اللغة المماسة إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين ، و ينجون منها سالمين" انتهى ، هو يشير إلى الحديث الصحيح : "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد ؛ فتمسه النار إلا تحلة القسم"؛ وقال صاحب روح المعاني من المتأخرين ؛ وهو يرجح رأي الدخول : ﴿ و نذر الظالمين فيها جثيا ﴾ هذه الآية الكريمة ظاهرة عندي في أن المراد بالورود الدخول ؛ وهو الأمر المشترك .

وبإزاء هؤلآء نجد بعض السلف رجحوا المرور على غيره من جميع الأقوال ؛ قال ابن العربي المالكي رحمه الله في : "عارضة الأحوذي" : ١٣/١٢؛ رقم الحديث/٣١٥٩ : "وذلك كله خروج عن صحيح الآثار ؛ ومختار المعاني ؛ فقد ثبت كما تقدم في هذا الكتاب وغيره أنه – سبحانه – يضع الصراط على متن جهنم أرق من الشعر وأحد من السيف ، وأن الخلق يمرون عليه مسرعين مبطئين على مقادير أعمالهم ، فناج مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكردس في النار ؛ وليس مع هذا تأويل ؛ ولا يفتقر بعد ذلك إلى دليل ؛ ولا ينفع بعده القال والقيل" أهـ ، وقال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم ؛ رقم الحديث/٢٤٩٦ : "و الصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط ، وهو جسر منصوب على جهنم ؛ فيقع فيها

أهلها ؛ وينجو الآخرون" أهـ .

على كل حال فإن الأولى هو طريق الجمع والتوفيق ؛ وأن الدخول والمرور بمعنى واحد ، والأدلة المأثورة لا تفرق بينهما ؛ ومعظم السلف لا يرون بينهما منافاة ؛ وإليك بعض الأدلة على ذلك :

١- قد رأينا أن جابرا ﷺ روى عن النبي الكريم ﷺ عند الحاكم : "الورود الدخول لا يبقى بر ؛ ولا فاجر إلا دخلها ؛ فتكون على المؤمنين بردا وسلاما" ؛ وأكد جابر سماع هذا الحديث تأكيدا بليغا حيث أشار إلى أذنيه ؛ وقال : صمتا إن لم أكن سمعته .

ثم إنه سئل مرة عن الورود فحدث عن رسول الله ﷺ حديث الجسر المنصوب على جهنم ، وهو عند مسلم ، فهذا برهان واضح أن المرور على جسر جهنم ؛ هو الدخول ، ومعنى قوله : ﴿ فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ﴾ لا تمسهم نفحة منها ، ولا يصل إليهم لهبها ، ولا تؤذيهم نارها ، وهي أشد النيران حرا ، والصراط أرق من الشعر ؛ بل هي تكون لهم باردة ؛ وهم يمرون آمنين سالمين ؛ والله أعلم .

ويحلو لي أن أنقل في هذا المقام ؛ قول الإمام ابن قيم الجوزية في "زاد المعاد" ٦٨٢/٣ : وما أروعه من قول وأنفعه للعالم ! قال : "ليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ؛ ولا تناقض ؛ ولا اختلاف ، وحديثه كله يصدق بعضه بعضا" أهـ .

٢- قد استدل الحافظ لذلك بحديث أم مبشر ؛ فانظره فيما مضى من قوله .

٣- روى الطبراني في "المعجم الكبير" حديث عبد الرحمن بن بشير ﷺ : "من مات له ثلاثة من الولد ؛ لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلا عابر سبيل" ؛ قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٩/٣ : "رجاله موثقون خلا شيخ

الطبراني أحمد بن مسعود المقدسي ؛ ولم أجد من ترجمه" .

٤- عرفنا - مما تقدم - أن عبد الله بن مسعود يرى أن المراد بالورود المرور على الجسر ، لكن الطبري روى بسنده ؛ رقم/٢٣٨٤١ عن مرة الهمداني عن ابن مسعود ﷺ : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؛ قال : داخلها ، فهذا إن صح ودل ؛ فهو يدل على أن المرور على الجسر ؛ هو الذي عبر عنه بالدخول .

٥- تبينا أن عبد الله بن عباس ﷺ ؛ هو حامل لواء القول بالدخول إلا أن القرطبي ؛ قال في تفسيره ١٣٦/١١ : "وقالت فرقة : الورود الممر على الصراط ، وروي عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وكعب الأحبار ، والسدي" انتهى ، فالجمع بين هذين القولين المأثورين عن الحبر والبحر أولى من دعوى التعارض ؛ والله أعلم .

ومن القائلين بالجمع بين المرور والدخول الإمام المفسر ابن جرير الطبري ؛ حيث قال في تفسيره ٣٦٨/٨ : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ؛ فينجيهم الله ؛ ويهوي فيها الكفار ، و ورودهماها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ؛ فتاج مسلم ومكدس" ؛ ثم ساق الأحاديث المؤيدة لذلك ؛ ومنها قال : حدثني أحمد بن عيسى ؛ قال : حدثنا سعيد بن كثير بن عفير ؛ قال : حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير ؛ قال : سألت جابر بن عبد الله عن الورود ؛ فقال : سمعت رسول الله ﷺ ؛ يقول : هو الدخول ؛ يردون النار ؛ حتى يخرجوا منها ؛ فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف ؛ فيرفع الله له شجرة ؛ قال : فيقول : أي رب أدنني منها ؛ قال : فيدنيه الله تبارك وتعالى منها ؛ ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة ؛ قال : فيقول : سل ، قال : فيسأل ؛ قال :

فيقول : ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها ؛ قال فيقول : يا رب ! تستهزئ بي ؟ قال : فيضحك ؛ حتى تبدو لهواته وأضراسه" انتهى ؛ وفيه ابن لهيعة إلا أن له شواهد صحيحة .

ومنهم أبو الليث السمرقندي إذ يقول في تفسيره المسمى : "بحر العلوم" ٣٣٠/٢ : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ ؛ قال بعضهم : أي داخلها ، المؤمن والكافر، يدخلون على الصراط ؛ وهو ممدود عليها على متن جهنم" انتهى، ولم يضعف هذا القول كما يبدو من "قيل" .

ومنهم العيني رحمه الله تعالى ؛ قال في شرح البخاري ٣٣/٨؛ الجنائز ؛ رقم الحديث/١٤ : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ وليس المراد دخولها للعقاب ؛ ولكن للجواز كما قاله الخطابي" أهـ .

وكلما رأينا مفسرا لا يذكر ؛ رأي الدخول إزاء رأي المرور ؛ بل إنما يرجح دخول الكل من الناس على غيره من الأقوال ؛ كما فعله البغوي في تفسيره ٢٠٤/٣؛ فأغلب الظن أنه لا يفرق بين المرور والدخول ؛ والله أعلم ، ومما يقوي رأي الجمع أن بعض المفسرين قد رجحوا هذين القولين على غيرهما من غير ترجيح بينهما ؛ بل توقفوا في ذلك كما فعله الشوكاني في "فتح القدير" وتبعه القنوجي في "فتح البيان" .

جواب عن سؤال :

يرد على رأي المرور على جسر جهنم لفظ الحديث الذي رواه البخاري ومالك وغيرهما : "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد ؛ فتمسه النار إلا تحلة القسم" ؛ وفي رواية للبخاري : "فيلج النار" ؛ فإن الولوج والمسيس يدلان على الدخول في الحقيقة ، والإجابة عن ذلك بوجهين : الأول : المستثنى في الحديث منقطع ، قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في "التمهيد" ٣٦١/٦ : "وقد يحتمل أن يكون قوله ﷺ : "إلا تحلة القسم"

استثناء منقطعا بمعنى لكن تحلة القسم ، وهذا معروف في اللغة ، وإذا كان ذلك كذلك ؛ فقوله : "لن تمسه النار إلا تحلة القسم" أي لا تمسه النار أصلا كلاما تاما ، ثم ابتدأ إلا تحلة القسم" انتهى .

والوجه الثاني : هو أن المسيس هنا مجاز ، قال ابن عبد البر : "لأن المسيس حقيقته في اللغة المباشرة ، وقد يحتمل على الاتساع أن يكون القرب" .

وهنا نستأنس بالحديث الذي رواه أحمد بسند فيه شئ من الضعف ؛ رقم/١٥٦١٢ : عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : "من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا ، لا يأخذه سلطان ، لم ير النار إلا تحلة القسم ؛ فإن الله تعالى يقول : ﴿ و إن منكم إلا واردها ﴾ أهـ .

ويحسن للقارئ الكريم الرجوع إلى البخاري ؛ المجلد الأخير ؛ كتاب التوحيد ؛ باب/٢٤ ؛ حتى يقرأ الحديثين الجليلين الجميلين الطويلين حديث أبي هريرة ﷺ ؛ وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ ؛ فإن فيهما فوائد جمة ؛ وتشويقا وتنشيطا وتنبيها عدا اشتمالهما على صفة الصراط أو الجسر .

***

والحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على محمد ؛
وعلى آله وصحبه أجمعين

*****

تكوير الشمس و القيامة
في ضوء الكتاب و السنة و العلم الحديث

[الحلقة الثانية]

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي (رحمه الله)
الأمين العام السابق للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور – الهند (تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

اكتشاف قرآني عظيم :

هذه القصة لولادة الشمس وموتها التي قد اكتشفتها العلوم الطبيعية في القرن العشرين ، قد أزاح القرآن الكريم القناع عنها قبل أربعة عشر قرناً ، يقول القرآن الكريم : ﴿ إذا الشمس كُوِّرتْ * و إذا النُّجوم انْكدرتْ ﴾ [التكوير/١-٢] .

فالآية الأولى : تخبر عن ذهاب نور الشمس أو موتها، والآية الثانية : تخبر عن نهاية العالم ، وبالتالي تقع القيامة ، فالحقيقة الأولى القرآنية ؛ قد أثبتتها الاكتشافات العلمية الحديثة إثباتاً ، ومعلوم أن موت الشمس يعني موت النظام الشمسي كله ، لأن الشمس هي مصدر النور والحرارة والحياة ، فإذا كورت وماتت ؛ لم تبق الأجرام السماوية التابعة لها من عطارد والمشتري ؛ والزهرة ؛ والأرض ؛ والمريخ ؛ وزحل وغير ذلك ، وبهذا الاعتبار يكون موت الشمس وحدها يوم القيامة لجميع المخلوقات الموجودة في النظام الشمسي .

والآية الثانية : تدل على عدة معان ؛ منها أن جميع النجوم والسيارات للمجرة (Milk way) (١٤) تنتهي بالاصطدام بعضها مع البعض ، و منها أن الله تعالى ينشرها ويفرقها بالقضاء على قوة تجاذبها ، ومنها يفنى هذا الكون المحتوي على مليارات من الأجرام السماوية ، وتريليونات من النجوم عن طريق الاصطدام فيما بينه ونظرية الانفجار العظيم (١٥) تؤيد ذلك ، وتجعلته ممكنا ، ولعل الآية الكريمة التالية تشير إلى مثل هذه النظرية :

﴿ يوم نطوي السماء * كطيّ السجلّ للكتب * كما بدأنا أول خلق نعيده * وعداً علينا * إنا كنّا فاعلين ﴾ [الأنبياء/١٠٤] .

التطابق بين القرآن والحديث والعلم :

قد أصبح من السهولة فهم مثل هذه الحقائق وإدراكها في ضوء النظريات العلمية الحديثة المعاصرة ، وإلا فلم يكن مفهوم دوران الأجرام السماوية وتقلُّبها ؛ وقوة تجاذبها واضحاً في النظريات القديمة ، ولكن مما يبعث على الدهشة والعجب أن العلماء والمفسرين القدامى الغافلين عن النظريات الجديدة ؛ والاكتشافات الحديثة قد بينوا مفهوماً مماثلاً يتطابق مع الاكتشافات العلمية الحديثة ، فانطلاقاً من هذا المنطلق لم تبق الاكتشافات الحديثة جديدةً ، بل الأحاديث النبوية حافلة بهذا النوع من الحقائق ؛ فضلاً عن القرآن الكريم ، وبملاحظة هذا النوع من الحقائق والمعارف يظهر جلياً واضحاً أن هذه الحقائق لا تتطابق مع القرآن فحسب ، بل تنسجم انسجاماً كلياً مع أحدث المعطيات والاكتشافات العلمية ، وبهذا الاعتبار يثبت صدق الحديث النبوي الشريف ؛ و إعجازه اليوم بالإضافة إلى القرآن الكريم ، وهذا البحث يلقى ضوءاً جديداً على صدق رواة الحديث والمفسرين القدامى أنهم بالرغم من عدم اطلاعهم على الاكتشافات العلمية الحديثة قد قاموا ببيان مفهوم مماثل للمفهوم المنقول عن الرسول الحبيب ﷺ ؛ والصحابة والتابعين رضي الله عنهم "كأمانة علمية" بكل دقة وأمانة .

فهناك حقيقة وهي أن السورة التي تخبر عن ذهاب نور الشمس أو موتها ؛ تسمى بـ "التكوير" أي طيّ بساط الشمس ، وهذا علامة لنهاية العالم ، وكذلك توجد في القرآن الكريم سورتان أخريان بهذا الخصوص تنبهان الجنس البشري إلى وقوع القيامة من الوجهة العلمية ، وهما سورة الانفطار ؛ والانشقاق ، وهاتان السورتان أيضاً تخبران عن موت النجوم ؛ ونهاية العالم ، فبهذا الاعتبار هذه السور الثلاث على اختلاف أساليبها وألفاظها تؤكد وتبيّن حقيقة واحدة : ﴿ إذا السماء انفطرتْ * وإذا

الكواكب انتشرتْ [الانفطار/١-٢]؛ و ﴿ إذا السماء انشقّتْ ﴾ [الانشقاق/١].

وقال رسول الله ﷺ : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين ؛ فليقرأ إذا الشمس كوّرت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت (١٦) .

و ظاهر أنه لا يستطيع أحد أن يقول مثل هذا القول إلا من له معرفة و علم بأسرار الكون الداخلية ، وإلا فليس من الممكن بيان و وضع أصل صحيح أو قاعدة في الماضي للحقائق العلمية المستقبلية ، تنظم الآيات القرآنية المختلفة ؛ وألفاظها المختلفة في سلك واحد ، وبهذا الاعتبار يثبت صدق الأحاديث النبوية وصحتها بالإضافة إلى القرآن أنهما قد صدرا من منبع واحد للعلم ، وإلا فلم تتحقق هذه المطابقة العظيمة بين الكتاب والسنة .

أصول جديدة لفحص الحديث :

وليعلم أن الإمام الترمذي ؛ قال بشأن هذا الحديث : "هذا حسن غريب" بينما صححه الإمام الحاكم ؛ وصدقه الإمام الذهبي (١٧) ؛ ولكن ينبغي في هذا العصر الراهن أن يكون عمل تحقيق صحة حديث ؛ وفحصه على قاعدة أن يكون الحديث مطابقاً للقرآن الكريم عقلياً وعلمياً أو يكون متطابقاً مع القرآن الكريم ؛ والاكتشافات العلمية الحديثة – مهما تكن درجته من ناحية الرواية – وبهذا الاعتبار يمكن إثبات صحة كثير من الأحاديث الضعيفة التي يوجد فيها "نقص" من الناحية التاريخية ، معنىً و مفهوماً ، فيوجد في الأحاديث النبوية أصول لذلك ، فقال رسول الله ﷺ : اعرضوا حديثي على كتاب الله ؛ فإن وافقه فهو مني و أنا قلته (١٨) ؛ وقال ﷺ في موضع آخر : ستكون عني رواة يروون الحديث ، فاعرضوه على القرآن ؛ فإن وافق القرآن فخذوها وإلا فدعوها (١٩) .

وبهذا الاعتبار أيضاً لابد من القيام بعمل المراجعة والتحقيق ؛ حول الحديث النبوي لمواجهة تحديات العصر الحاضر وفتنه ؛ والردّ عليها ردّاً صحيحاً ، والردّ على من يشكون في صحة الحديث في هذا العصر ردّاً

مؤثرا ؛ مقنعا .

فينبغي في هذا العصر أن تكون الدراية بدل الرواية مقياسا ؛ ومعيارا للتعرف على "ثقة" راو أو "ضعفه" أي إجراء البحث حول الحديث عقليا وعمليا ؛ ثم النظر فيه هل هو مطابق لكتاب الله أم لا ؟ وهذا العمل يتطلب دقة النظر وعمقه ؛ والبصيرة النفاذة ؛ ولكن ليعلم أن كل ما صدر من الرسول الكريم ﷺ قولا ؛ أو فعلا ؛ أو حكما كل ذلك مأخوذ من القرآن الكريم وتابع لفهمه للقرآن ؛ كما تصرح بذلك الآية التالية :

﴿ وأنزلنا إليك الذكر * لتبين للناس * ما نزل إليهم * ولعلهم يتفكرون ﴾ [النحل/٤٤] ؛ وجاء في موضع آخر : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق * لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ [النساء/١٠٥] .

ففي هذه الآية الكريمة ؛ كلمة : "بما أراك الله" بليغة للغاية ؛ وتستحق النظر ؛ والتأمل فيها ؛ والاستدلال بها ، وهذا أوضح دليل على أن جميع أحكام الرسول الكريم ﷺ كانت مطابقة لما أراه الله تبارك وتعالى أو لما أوحى إليه .

ويقول الإمام الشافعي بهذا الخصوص : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ؛ وجميع السنة شرح للقرآن" (٢٠) .

وقد قال رسول الله ﷺ نفسه بهذا الشأن : إني لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه ؛ ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه (٢١) .

و هذا يثبت ويؤكد أن الكتاب و السنة هما صادران من منبع واحد ، وكل ما قاله رسول الله ﷺ ؛ شرح وتفسير لكتاب الله سواء أكان مرتبطا بالمسائل الفقهية أو بالأمور غير الفقهية ، يقول الله عزوجل :

﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم/٣-٤] .

اكتشافات المفسرين القدامى :

وعلى كل ؛ فينبغي لنا أن ننظر فيما قاله المفسرون القدامى بخصوص موت الشمس ؟ فيعتبر كتاب : "جامع البيان في تفسير القرآن"

للعلامة ابن جرير الطبري [م/٣١٠هـ] أقدم التفاسير ، ونجد في هذا الكتاب عدة حقائق متعلقة بتكوير الشمس – أيّ طيّ بساطها – منقولة عن الصحابة الكرام ؛ والتابعين رضي الله عنهم جميعاً .

١. يقول ابن عباس ﷺ أن معنى : "إذا الشمس كوّرتْ" أظلمت
٢. يقول في قوله الآخر: "إذا الشمس كوّرتْ" أي إذا الشمس ذهبت.
٣. يقول مجاهد رحمه الله : إذا الشمس اضمحلت وذهبت .
٤. يقول قتادة : إذا الشمس ذهب ضوؤها .
٥. ويقول سعيد : غورت : وهي بالفارسية كوّر تكوّر .
٦. ويروى عن ضحاك أن المراد من : إذا الشمس كوّرت ؛ ذهابها .
٧. ويقول أبو صالح : نكست .
٨. ويقول في قول آخر : ألقيت .
٩. ويقول ربيع بن خيثم : رمى بها .

ويقول ابن جرير بعد سرد هذه الأقوال :

"والتكوير في كلام العرب جمع بعض الشئ إلى بعض ، وذلك كتكوير العمامة ؛ وهو لفها على الرأس ، وكتكوير الكارة ؛ وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفها ، وكذلك قوله : إذا الشمس كوّرت ، إنما معناه جمع بعضها إلى بعض ، ثم لفت ورمي بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها ؛ فعلى التأويل الذي تأولناه وبيناه ؛ لكلا القولين اللذين ذكر عن أهل التأويل وجه صحيح لهما ، و ذلك أنها إذا كوّرت ورمي بها ذهب ضوؤها" (٢٢) .

وليعلم أن تكوير الشمس أو طيّ بساطها "استعارة" ؛ وهي نوع من أنواع البلاغة ، وبهذا الاعتبار ؛ فهي حقيقة ذات معان عظيمة .

على كل حال ؛ مما يبعث على العجب كيف بيّن العلامة ابن جرير، وأول ذلك تأويلاً يتطابق كل المطابقة مع الواقع ، رغم عدم اطلاعه على الاكتشافات العلمية الحديثة ، ومما يبعث على العجب والدهشة ، أكثر من

ذلك ؛ وهو كيف اتفق جميع المفسرين القدامى من ابن عباس ﷺ إلى ربيع ابن خيثم على معنى مشترك ؟ نتيجتهم واحدة مشتركة وإن كانت ألفاظهم مختلفة ، فمن هنالك ينشأ سؤال ؛ و هو هل قالوا ذلك من عند أنفسهم بعد ما افتعلوه ؟ ومعلوم أنه لو كان ذلك لما اتحدت أقوالهم معنوياً ؟ ومن أجل هذا يتحتم علينا أن نعترف بأنهم ما قالوا هذه الأقوال إلا على أساس ما سمعوه من الرسول الكريم ﷺ ؛ لأن حقيقة واحدة قد عُبّر عنها بأساليب مختلفة ، لا تعارض فيها ولا تناقض ، فهذه الموافقة والمطابقة بين المفسرين ؛ ورواة الحديث بالإضافة إلى التطابق بين القرآن والحديث ؛ إعجاز عظيم للدين الإسلامي !

[للبحث صلة]

---

(١٤) Milk way

(١٥) Big Bang theory

(١٦) الجامع الصحيح للترمذيْ ، كتاب تفسير القرآن : ٤٣٣/٥ ، مطبوعة بيروت ، المستدرك للإمام الحاكم : ٥٧٦/٤ ؛ ط/بيروت ، ويقول الإمام السيوطي : روى الإمام أحمد ابن منذر ؛ هذا الحديث أيضا ، فليراجع لمزيد من التفصيل إلى تفسير "الدر المنثور" : ٤٢٦/٨؛ ط/دار الفكر بيروت ١٩٩٣م .

(١٧) انظر إلى المستدرك للإمام الحاكم : ٥٧٦/٤-٥٧٧؛ ط/بيروت .

(١٨) الطبراني : منقول عن كنز العمال : ١٧٩/١؛ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م.

(١٩) ابن العساكر ؛ نقلا عن كنز العمال : ١٩٧/١.

(٢٠) الاتقان في علوم القرآن ؛ جلال الدين السيوطي : ١٦٠/٢ مصر ١٩٧٨م .

(٢١) نفس المصدر ؛ وكنز العمال : ١٩٥/١؛ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م.

(٢٢) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير ابن جرير) طبري : ٤١/٣٠ ؛ دار المعرفة بيروت ١٩٨٠م .

الدعوة الإسلامية :

منهج الرسول الكريم ﷺ في الدعوة

منهج الدعوة في مكة المكرمة

بقلم : الأستاذ عبد السلام سعيد كريم
(من القاهرة)

النقطة الأولى : الدعوة مقصورة على أصول الإيمان ، ونبذ العقائد الوثنية .

أ- بداية الدعوة سرا :

نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بغار حراء في مكة المكرمة بعد غياب عيسى عليه السلام ، و حدث به ما حدث من روعة وشدة وثقل ، كما سرد به البخاري رحمه الله ؛ في حديث عائشة الذي يبين كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ ، فقام الرسول الحبيب ﷺ بعد انقضاء فترة الوحي بالدعوة ، وبدأ حركته الإصلاحية ، ليس على وجه الأرض كلها من يدين بالإسلام غير النبي المصطفى ﷺ ؛ فآمنت به زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أم المؤمنين الأولى ، وثلاثة آخرون ، اثنان منهم فتيان في مستهل الصباء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه ، ثم رأى ﷺ أن يدعو سرا ، فأسرع بها إلى من آنس فيهم الاستعداد بقبولها ؛ والإيمان بها ، ومن يعرف فيهم رجاحة العقل ؛ وسلامة الفطرة ؛ والنزوع إلى الحق ، فشافه بالدعوة أبا بكر بن أبي قحافة ؛ ثالث الأولين ، قد بلغ سن الكهولة ؛ وأخذ مكانته في المجتمع القرشي سيدا مهيبا وقورا ، فاتخذه الرسول وزيرا له يستشيره في جميع ما لم ينزل فيه وحي ، واستطاع أبو بكر الصديق أن يكسب للدين الجديد خمسة من رجال قريش الأعلام ، عثمان بن عفان رضي الله عنه ، زيد العوام ، عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، طلحة بن عبيد

الله ، كما استجاب دعوته السرية بعض الموالي والأرقاء ؛ وعدد لا بأس به من الأحرار المكيين رجالا ونساء ، وكانوا في أول الأمر إذا أرادوا الصلاة تحاشوا الكعبة ، وتحاشوا كذلك أن يصلوا في بيوتهم ، وذهبوا إلى الشعاب ؛ فاستخفوا لصلاتهم عن قومهم ، إذا كان البيت الواحد فيه من يؤمن بدين المصطفى ، وآخرون من أهله وعشيرته على دين آبائه ، هذه تنم عن صورة المسلمين في الدول الشيوعية الاشتراكية في زمننا هذا ، حدث كل هذا ؛ والنبي الكريم ﷺ مختف في دار الأرقم بن أبي الأرقم يدعو إلى دينه سرا ، هكذا طبق الرسول الأعظم ﷺ منهجه واحدا تلو الآخر بدقة وحسم ، فمرت الأيام والليالي ؛ وانقلب المساء صباحا ؛ والصباح مساء ؛ فلم يلبث أمر الإسلام يخفى وراء الستار طويلا ، ليس هذا شأنه كدين جديد بعد أن فشا ؛ وظهر على الأفق الأعلى ؛ وبدأ كشف اللثام عن وجهه النير .

ب- بداية الدعوة جهرا :

ثم أمر الله تعالى نبيه المصطفى ﷺ في السنة الثالثة من النبوة بالجهر بالدعوة ، قال الله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر * وأعرض عن المشركين ﴾ [سورة الحجر/٩٤] ؛ وقال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك * لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك * فقل : إني بريئ مما تعملون ﴾ [سورة الشعراء/٢١٤-٢١٦] فصعد على جبل الصفاء ؛ وطفق ينادي : يا بني فهر ؛ يا بني عدي ؛ لبطون قريش ، فلما اجتمع الناس ؛ قال لهم النبي الكريم ﷺ : "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما علمنا عليك كذبا ، قال : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فلم يرفع أحد بما قاله رأسا ، ولم يقم له وزنا ؛ بل أغلظ ؛ وشدد أبو لهب بعض التغليظ ؛ حتى نزلت سورة المسد ردا عليه ؛ وعلى امرأته .

والنبي الكريم ﷺ يمشي في الأسواق ؛ وعلى مجالسهم ومحافلهم

يدعوهم إلى الإسلام ؛ ويردد عليهم ، يا أيها الناس ! قولوا : لا إلـه إلا الله تفلحوا ، والآيات القرآنية المكية تنم عن دعوتـه ﷺ ؛ ومبـادئ عقـائد الإسلام والإيمان ؛ ونبذ الشرك ؛ وتمسك التوحيد ؛ والرسالة ؛ والآخـرة ، وركزت عليها تركيزاً أولياً ، هكذا أخرج الداعي دعوته من غرفة ضيقـة صغيرة إلى الآفاق ؛ والميدان الواسع ، و واجهه ما واجهه من إيذاء وإيـلام من أعداء الإسلام ومخالفيه .

النقطة الثانية : الصبر على أذى الكفار ؛ وعدم الكفاح والنضال معهم :

فطلع الإسلام كدين جديد ؛ وموضوع حسي في ميـدان الحـوار والحديث ؛ وفي مائدة الأكل والفرح ، والناس حوله إما متبع ، هم في غايـة القلة ؛ حتى لا يعد ، وإما مخالف ؛ وهم الأغلبية ، وإما وسط ليس من هـذا وذاك ، فشغلهم الشاغل جميعاً دفاعاً ؛ أو هجوماً .

وصناديد قريش ورؤساؤها لم يستقبلوا صباحاً باكراً ؛ أو مساءً حلـواً إلا ويسمعون عن زيادة عدد متبعي المصطفى ؛ وانضمام واحد تلو الآخـر ، واستطلعوا أن أتباع المصطفى ﷺ إما أحرار ، وإما أرقاء ومـوالي سـفاهة أراذل ، ومن الشرفاء والعظماء ؛ فعددها ضئيلة ، فانتهزوا الفرصة ؛ واسـتغلوا المواقع ؛ فاستشاطوا غضبا ؛ واضطرمت شرارة العيون شـعلة ملتهبـة ، وتورمت الأنف قيظا وغيظا وعضا على الأسنان حقدا وحسدا .

هذا ؛ ومن ناحية أخرى : قد بالغ لهم الرسول الكريم ﷺ في إبطال ديانتهم ؛ وكشف ضلالة آبائهم وآلهتهم ؛ فاشتعلت العصبيـة ؛ والحميـة الجاهلية ؛ رعدا وبرقا ، فتجاوزوا حد السخرية والاستهزاء والاسـتهانة إلى ضروب من الإيذاء ؛ وصنوف من الاضطهاد التي لا تصفها البشرية .

فإليك ذكر بعض الإيذاء الأليم :

١- دخل عليهم النبي الكريم ﷺ يوما المسجد الحرام ؛ فوجدهـم يسجدون للأصنام ؛ فنهاهم عن ذلك ، فأجابوا : إنما نسجد لها لتقربنـا إلى

الله زلفى .. فبين لهم بأن ذلك ؛ هو الشرك الذي لا يقبله الله منهم ، فـأجمعوا على مخالفته ومنابذته ؛ كما يحكيها القرآن الكريم : ﴿ وعجبوا أن جـاءهم منذر منهم ... وما ينظر هؤلآء إلا صيحة واحدة * ما لها من فواق ﴾ [سورة ص/٤-١٥] ؛ وآذوه بالفعل ؛ كما روى البخاري رحمه الله بسـنده عـن أبي عروة بن الزبير قالا : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : أخبرني بأشـد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ؛ قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بفنـاء الكعبة ؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ؛ فأخذ بمنكب رسـول الله ﷺ ولـوى ثوبه في عنقه ؛ فخنقه خنقا شديدا ؛ فأقبل أبو بكر الصديق ؛ فأخذ بمنكبـه ؛ ودفع عن رسول الله ﷺ ؛ وقال : ﴿ أتقتلون رجلا أن يقـول : ربي الله * وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ [سورة غافر/٢٧] .

٢- روى مسلم رحمه الله بسند عن ابن مسعود ﷺ ؛ قال : بينمـا رسول الله ﷺ يصلي عند البيت ؛ وأبو جهل وأصحابه له جلوس ، وقـد نحرت جزور بالأمس ؛ فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان ، فيأخذه فيضعه في كتفي محمد ﷺ إذا سجد ، فانبعث أشقى القوم ؛ فـأخذه ، فلما سجد النبي الكريم ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعـل بعضهم يميل على بعض ؛ وأنا قائم ؛ أنظر لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ؛ والنبي الكريم ﷺ ساجد ما يرفع رأسه ؛ حتى انطلق إنسـلق ؛ فأخبر فاطمة ؛ فجاءت ؛ وهي جويرية ؛ فطرحته عنه .

كذا ناوؤا الدعوة ، كما ناوؤا الداعي ، و وقفوا في سبيلها موقفـا شديدا ؛ وصلبا (١) .

٣- يوم نزلت سورة المسد ردا على أبي لهب وامرأته _ أم جميـل بنت حرب - ، وأبو لهب مضى على غلوائه ، فكان من أشد الكفار عـداوة للإسلام ؛ وإيذاء للمصطفى ﷺ ، وامرأته "حمالة الحطب" قد غاظت بما نزل

(١) الرسالة المحمدية : ص/٥٨ .

فيها ؛ وفي زوجها أبي لهب في القرآن ؛ فخرجت تطلب المصطفى ؛ وفي يدها فهر – حجارة تملأ الكف – ، وسمعت أنه ﷺ في الكعبة ؛ فاندفعت نحوه تهدد بالوعيد ، لكن بصرها يخطئ المصطفى ؛ فلم يره ، هكذا صانه الله ، ورأت أبا بكر الصديق رضي الله عنه هناك ؛ فسألته : أين صاحبك ؟ فقد بلغني أنه يهجوني ؛ والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر ، إنه إن يكن شاعرا ؛ فإني شاعرة ؛ فانصرفت ، وهي ترتجز : مذمما عصينا – وأمره قلينا، ودينه أبينا، قال أبو بكر الصديق للمصطفى : يا رسول الله ! أما تراها رأتك ؟ قال عليه السلام : ما رأتني لقد أخذ الله بصرها عني .

٤- قامت قائمة قريش في الإيذاء والتعذيب ؛ وائتمروا فيما بينهم فوثب كل حي من أحيائها على من فيه من الموالي الذين أسلموا ، فكانوا إذا حميت الظهيرة يخرجونهم إلى بطحاء مكة ، فيطرحونهم على ظهورهم ، ثم يضربون بالصخرة الضخمة ، فتلقى على صدر الرجل ، و يقول له سيده : لا تزال هكذا ؛ حتى تموت أو تكفر بمحمد ؛ و تعبد اللات والعزى ، فيقول العبد المؤمن ؛ وهو في هذا البلاء "أحد أحد" ، حدثوا أن رسول الله ﷺ مر بآل ياسر ؛ وقد أخرجهم ساداتهم من بني مخزوم إلى بطحاء مكة ، وتفننوا في تعذيبهم ؛ فلم يستطع المصطفى أن يدفع البلاء عن هذه الأسرة المؤمنة الكئيبة ، فقال لهم ﷺ : صبرا آل ياسر ، وقال : "أبشروا آل ياسر موعدكم الجنة" ، رواه الطبراني في الأوسط : فصبروا حتى قتلت شهيدة "سمية" أول شهيدة في الإسلام ؛ وهي تأبى إلا الإسلام .

٥- أسلم خباب بن الأرت وأعيا قريش أن تفتنه عن دينه ، و كان من أمهر العبد الصناع يعمل السيوف بمكة للسادة القرشيين ، وقل : أن يجدوا من يدانيه حذقا للصنعة ؛ وتواضعا في الجر ، واحتاج خباب في مهنة إلى مال يفتدي نفسه ، فذهب إلى السيد العاص بن وائل السهمي يتقاضاه أجر سيوف عملها له ، فنظر إليه السيد في ازدراء ، وسأله ساخرا : أليس

يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب وفضة ؟ رد خباب ؛ وهو لا يدري وجه السؤال : بلى ، قال العاص بن وائل : فأمهلني إلى يوم القيامة ؛ يا خباب ! حتى أرجع لك تلك الدار الآخرة ؛ فأقضيك هنالك حقك ، فوالله لا تكون أنت وصاحبك محمد يا خباب آثر عند الله مني ؛ ولا أعظم علي حظا من ذلك ، انصرف خباب وعوضه على الله تعالى ، وراح العاص بن وائل يباهي في مجامع قريش بحيلته الذكية الماكرة التي أصاب فيها عصفورين بحجر واحد ، أكل مال خباب عقابا له على إسلامه ، واستهزأ بدين صاحبه ، أطلقت قريش على الرسول وأصحابه كل سهم من سهامها ، فما زادهم كل هذا إلا ثقة وتجلدا ، و قالوا : ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله * وصدق الله ورسوله * وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ ، ولم يزدهم هذا البلاء ؛ والاضطهاد في الدين إلا متانة في عقيدهم ؛ وحمية لدينهم ؛ ومقتا للكفر وأهله ، وإشعالا لعاطفتهم ؛ و تمحيصا لنفوسهم ؛ فأصبحوا كالتبر المسبوك ؛ واللجين الصافي ، وخرجوا من كل محنة وبلاء خروج السيف بعد الجلاء (٢) .

رغم هذا كله لم يواجهه الرسول وأصحابه دفاعا بالسلاح والقوة ؛ بل صبروا وثابروا مثابرة عظيمة ؛ وتضحية تاريخية تجرعوا مرارات الظلم والألم ؛ والقسوة والاضطهاد جرعة جرعة ، هكذا حقق الرسول منهجه الدعوى واحدا بعد الآخر ؛ حتى بلغ إلى نهاية الفلاح ؛ وأقصى المنى .

النقطة الثالثة : بناء الشخصية أقدم من بناء الدولة :

تطردني ذاكرتي إلى الماضي القريب ، قرأت في كتاب عن حياة الإمام جمال الدين الأفغاني ؛ طرح عليه سؤال : لماذا لا تكتب الكتب ؛ والرسائل ؛ والمقالات ؛ تشرح فكرتك النيرة ؛ وتبث عن نهضتك ؟ فأجاب

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص/١٢٣ .

الإمام قائلا : إني أوثر بناء الشخصيات المستوفيات بشروط الزعامة على بناء الدور ؛ وتأليف الكتب التي تكون بعد أيام مغمورة مطمورة ، فعلا حدث حسبما توقع الإمام ، قد قام تلامذته ببث الوعي ؛ وفكر الإمام الأفغاني في التطوير ؛ والتجديد ؛ والنهضة في مجالات الدعوة ؛ والفكر ؛ والتعليم ، هذه هي نظرية عميقة الجذور ؛ ونهج مستحكم استقاه الإمام من حوض الرسول العذب ؛ وأسلوبه المعجب ، كان المجتمع الجاهلي قبل هذا الإيمان في الفوضى والاضمحلال ، والانحطاط ؛ والتردي في مجالات الأعمال ؛ والأخلاق ؛ والسلوك ؛ والأخذ ؛ والترك ؛ والسياسة والاجتماع ، فالرسول الكريم ﷺ صاغهم صياغة جدية دينية ، ورباهم تربية جادة ، وبذلك عرف الصحابة رضي الله عنهم ظلمات الجاهلية الداكنة ، وعرفوا معاني الإسلام الشاملة معرفة صحيحة ، وعرفوا أنه خروج من حياة إلى حياة ، ومن ملك الجور والظلم إلى ملك العدل والإنصاف ، أو من الفوضى إلى الهدوء والطمأنينة ، أو من حرب إلى الاستسلام والخضوع ، ومن الأنانية إلى العبودية ، فبهذا الإيمان الواسع العميق ؛ والتعليم النبوي المتقن ، وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة ؛ وبشخصيته الفذة ، وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ؛ ولا تخلق جدته ، بعث رسول الله ﷺ في الإنسانية المتحضرة حياة جديدة ؛ كأنما كان جمادا ؛ فتحول جسما ناميا ؛ و إنسانا متصرفا، كأنما كان ميتا لا يتحرك ؛ فعاد حيا يملى على العالم إرادته ، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق ؛ فأصبح قائدا بصيرا يقود الأمم ، فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ .

فهذا أبو بكر الصديق أول خليفة المسلمين ، رغم كونه رجلا ذا مكانة مرموقة في أوساط المجتمع ، لكن لم يكن له مكان مرموق ؛ ومنزلة عريقة في السيادة والريادة ؛ بل في القيادة في قريش وغيرهم ؛ مثل : أبي جهل ؛ وأبي لهب ، فأصبح رائد الأمم ؛ وقائدهم الأكبر بعد النبي الكريم ؛

وعبقريا فريدا من عباقرة الدهر .

هذا عمر بن الخطاب الذي كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب وينهره ، و كان من أوساط قريش في الجلادة و الصرامة ، و لا يتبوأ منها المكانة العليا ؛ ولا يحسب له أقرانه حسابا كبيرا ، إذا به يفجأ العالم بعبقريته وعصاميته ؛ وصار راعي الغنم راعي القوم ، يدحر كسرى وقيصر عن عروشهما ، ويؤسس دولة إسلامية تجمع بين ممتلكاتهما تفوقهما في الإدارة ؛ وحسن النظام ؛ فضلا عن الورع والتقوى ؛ والعدل والإحسان الذي لا يزال فيه المثل السائر .

ذلك ابن الوليد ؛ كان من أحد فرسان قريش الشبان فقط ، وانحصرت كفاءته الحربية في نطاق ضيق محلي ، إذا به يلمع سيفا إلهيا لا يقوم له شئ إلا حصده ؛ وينزل كصاعقة على الروم والفرس ؛ ويترك ذكرا خالدا في التاريخ .

وهذا أبو عبيدة ؛ كان موصوفا بالصلاح والأمانة ؛ والرفق و الفطانة يقود سرايا المسلمين ، إذا به يتولى القيادة العظمى للمسلمين ، ويطرد هرقل من ربوع الشام ؛ ويلقى عليها نظرة الوداع .. وهذا علي بن أبي طالب ﷺ ، وعائشة رضي الله عنها ، وعبد الله بن مسعود ﷺ ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ؛ قد أصبحوا في حضانة النبي الكريم ﷺ ؛ وتربيته الصحيحة من علماء العالم يتفجر منهم العلم ؛ وتنطق الحكمة على لسانهم أبر الناس قلوبا ؛ و أعمقهم علما ؛ و أقلهم تكلفا ، يتكلمون ؛ فينصت الزمان ، ويخطبون ؛ فيسجل قلم التاريخ (٣) . [يتبع]

(٣) مقتطف من كتاب : "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لسماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) .

العبادات، وقوة البدن

بقلم : الدكتور أحمد عبده عوض
(كاتب و داعية إسلامي- القاهرة)

الحمد لله رب العالمين ؛ حمدا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه ؛ والصلاة والسلام على النبي الأمي الحبيب المصطفى المختار ، وعلى الآل والأصحاب والأخيار الأبرار .

وبعد : فقد عني الإسلام بتربية الجسم وتهذيب دوافعه ، ولا عجب فقد هذب الإسلام النوازع الفطرية ، وخطط لها سيرها المناسب ؛ بحيث تظهر في مكانها المناسب الذي من أجله حدد دورها .

ومن مظاهر رعاية الإسلام بالجسم اهتمامه بالقوة الجسمانية ، ذلكم أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، كما ورد في الحديث الصحيح ؛ الذي رواه مسلم ؛ قوله ﷺ : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ؛ وفي كل خير" ؛ فالمؤمن القوي المتمتع بجسم صحيح ؛ وعقل مفكر ؛ وأخلاق حميدة ؛ ونفس رضية أقدر وأشجع في الدفاع عن دينه ، وحماية وطنه ؛ وقومه ؛ وأمنه ، من المؤمن الضعيف .

وقد وصف الحق سبحانه أصحاب رسول الله ﷺ بأنهم غلاظ على الكفار متراحمون فيما بينهم ، يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ، و لمن وافق دينهم الرحمة والرأفة ؛ فقال تعالى : ﴿ محمد رسول الله * والذين معه أشداء على الكفار * رحماء بينهم ﴾ [الفتح/٢٤] .

وهكذا نجد أن الشدة في موضع ، والرحمة في مواضع أخرى ، فالشدة لا تأتي في موضعها إلا إذا اقترنت بالقوة النفسية والأخلاقية المناسبة لتنفيذ الشدة وممارستها ، فالقوة تتضمن القوة النفسية التي تكبح جماح الغضب ، والقوة الاجتماعية هي التي تقرب الناس بعضهم مع بعض ، والقوة الأخلاقية التي تزين أفعالهم وأقوالهم .

ولا يجد المتأمل لآيات القرآن الكريم صعوبة في ملاحظة تفضيل الإسلام قوة الجسد ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قال : إن الله اصطفاه عليكم * و زاده بسطة في العلم والجسم * والله يؤتي ملكه من يشاء * والله واسع عليم ﴾ [البقرة/٢٤٧] .

و كما أورد المفسرون رحمهم الله أن الله اختار طالون ملكا على بني إسرائيل ، وهذا الاختيار إنما جاء لتوفر سمتين في طالوت ، هما العلم الذي يتمكن به من معرفة أمور السياسة والحكم ، وقوة الجسم التي تولد رهبة منه في القلوب ؛ وتعين على مقاومة الأعداء ، ومكابدة الشدائد ، فالقوة الجسمانية من مقومات الشخصية المؤمنة عندما تستند إلى إيمان راسخ .

والقوة الجسمية تحتاج إلى جسم خال من الأمراض والعلل ، وقد وضع الإسلام نظاما كاملا للرعاية بالبدن ، وتنمية الجسم ، ومن ذلك تحريم الأغذية التي فيها ضرر عليه ؛ فقد حرم الميتة ؛ والدم ؛ ولحم الخنزير ،وما أهل به لغير الله ، وأجمل القرآن العظيم ذلك في قوله تعالى : ﴿ ويحل لهم الطيبات * ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [الأعراف/١٥٧] .

كما أن رعاية الجسم تكون بالاعتدال في الطعام والشراب ، وعدم الإسراف فيهما : ﴿ وكلوا * واشربوا * ولا تسرفوا * إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف/٣١] .

وحفاظا على البدن ، وتهذيبا للشهوات شرع الله الصوم ، وجعله شهرا واحدا ، ولفترة محدودة معلومة في اليوم ، ونهى عن وصال الصيام ، واتصال الأيام بالليالي ، كما رغب في تعجيل الفطور ، وتأخير السحور إلى الفجر ، فللجسم حقه في الراحة من التغذية لوقت معين طوال العام ، ونهى الشرع عن الوصال ؛ لكونه يضعف الجسد ، ويعوق عن العبادة ، وذلك أمر لا يقره الشرع .

وليس خافيا أن العبادة في الإسلام عنيت بنظافة الجسم ونضارته وخلوه من الأمراض ؛ فلو أخذنا الوضوء للصلاة على سبيل المثال لوجدنا أن له أثرا كبيرا في تقوية الجسم ، والمحافظة عليه من الأوساخ ، وغسل الأعضاء يحقق الراحة لها ، وينشط الجسم ، ويقويه ، وغسل الوجه عدة

مرات يؤدي إلى تقوية حركات التنفس في الجسم ، ويحمى العين من الإصابة بالرمد ، والاستنشاق والاستنثار يطهران مجارى الأنف من الجراثيم التي قد تدخل في الأنف ، وتتراكم حوله ، وعلى جوانبه .

ومن حسنات الوضوء الأخرى أنه يخفف حدة توتر الأعصاب ، و الغضب ، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ؛ قوله : "إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم ؛ فليتوضأ" .

وقد أمر الإسلام بالاغتسال والنظافة ، وإزالة كل ما ينفر من جسم الإنسان ، وعدّ المحافظة على ذلك سنن الفطرة ، و من ذلك تقليم الأظافر ، وقص الشارب ، والاستحداد ، ونتف الإبط – إلى غير ذلك مما فصلته الأحاديث الشريفة ، التي عدت ذلك من أمور العبادة .

ولكون أداء العبادات يتطلب نشاطاً جسمياً ؛ فإن صحة الجسم من الأمور التي خصها الإسلام بالعناية ، وأقام شرائعه على كون العبادات ليست روحية صرفة ؛ بل يتفاعل فيها الجانب الروحي مع الجسم ، فالحج يعتمد أساساً على تحمل البدن لمشاق السفر والتنقل والزحام ، كما أن القدرة على تحمل المشاق من متطلبات الجهاد في سبيل الله : ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قُوة * ومن رباط الخيل * ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾ [الأنفال/٦٠] .

و من الدوافع الفطرية التي أولاها الإسلام عناية عظيمة حفظ النوع البشري عن طريق الزواج المشروع ، وحبب فيه ، ورغب في تحقيقه ، وحرم الزنا ؛ واللواط ؛ والعلاقات غير المشروعة ، التي تصيب الجسم بالوهن ، و تجعل الأمراض تتسلل إليه ، فضلاً عن كونها لا تحفظ الحياة ، ولا تشبع الشهوات في إطارها الصحيح ، ولنتأمل قوله تعالى في إحدى آيات قدرته التي تحفظ الإنسان وعرضه ؛ وتجنبه الرذائل ؛ والانحلال الأخلاقي : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها * وجعل بينكم مودّة ورحمةً * إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الروم/٢١].

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

مكانة السنة من القرآن الكريم

بقلم : الدكتور محمد روح الأمين
(الأستاذ المشارك ورئيس قسم الحديث والدراسات الإسلامية – بنغلاديش)

إن القرآن الكريم مصدر أساسي للتشريع الإسلامي ؛ وإن الله تعالى أنزل على رسوله الحبيب محمد ﷺ هذا الكتاب الذي ليس بعده كتاب ؛ وهو كتاب الله المهيمن على الكتب قبله ؛ وجعله دستورا للحق ؛ وهدى للناس ؛ وبرأه من الباطل ؛ كما قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم * وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه * ولا من خلفه * تنزيل من حكيم حميد ﴾ [سورة فصلت/٤١-٤٢] ، وإنه كتاب الله الذي خلا من كل عوج وتناقض واختلاف ؛ كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ أفلا يتدبّرون القرآن * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [سورة النساء/٨٢] .

وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، لأنه كلام الله ؛ وهو الأصل الأول للدين ؛ والدستور الأساسي للشريعة ؛ ومنبع الصراط المستقيم ، ومعجزة النبي الكريم ﷺ العظمى ؛ وحجته الكبرى ؛ وآيته الباقية على مرّ الدهور ، و قد تكفّل الله حفظه قائلاً : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر * وإنا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر/٩] ، و وكل الله تبيانه إلى رسوله الأمين (١) ، وكل ما جاء عن الرسول الأعظم ﷺ – ما عدا القرآن – من

(١) ﴿ وأنزلنا إليك الذكر * لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم * ولعلهم يتفكّرون ﴾ [سورة النحل/٤٤] ، والرسول في بيانه للقرآن أمين : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾ [سورة النجم/٣-٤] .

بيانه ومعانيه ؛ و تفصيل مجمله ؛ وتقييد مطلقه ؛ هو الحديث النبوي أو السنة ، وقد بين الله تعالى منصب الرسالة بأنه منصب التبليغ عن الله ؛ والبيان لأوامره ونواهيه (٢) ، فلما كان الرسول الكريم بهذه المثابة ، وهذا هو شأنه ؛ وهذه هي مكانته أوجب الله عزّوجل إطاعته ؛ وحذّرنا من معصيته ، حيث يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! أطيعوا الله * وأطيعوا الرسول * وأولي الأمر ﴾ [سورة النساء/٥٩] ، وقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول * فخُذوه * وما نهاكم عنه * فانتهوا ﴾ [سورة الحشر/٧] .

فالسنة بمنزلة القرآن من حيث وجوب العمل ، ومن حيث إنها وحي غير متلو ، إذ التمسك بالسنة ؛ هو التمسك بالقرآن والعمل بها ؛ كالعمل بالقرآن إلا أن السنة بالمرتبة التالية للقرآن من حيث الاعتبار ، إذ القرآن وحي متلو مقطوع به جملةً وتفصيلاً ؛ وأنه هو الأصل الأساسي ؛ وجعل السنة مبينة للقرآن وشارحة له ، ولا يمكن لمسلم أن يفهم الدين إلا بالرجوع إليهما معاً ، ولا غنى لمجتهد أو عالم عن أحدهما ، إذ إنكار أحدهما يلزم الإنكار للآخر ، وأن كلاً منهما معضد للآخر ومساوٍ له .

حجية السنة على ضوء القرآن الكريم :

فلو نظرنا في القرآن نظرة باحث لوجدنا فيه آيات كثيرة تدل دلالة قاطعة على حجية السنة ؛ وقد قسمنا هذه الآيات حسب الموضوع إلى أقسام ، على ما يأتي :

١- الآيات القرآنية التي تدل على وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ :

فمن لوازم الإيمان برسالة محمد ﷺ وجوب الإيمان بكل ما جاء عن الرسول الكريم ﷺ في أمر الدين ، فلو أنكر أحد حجية السنة ، لألزم

(٢) ﴿ يا أيها الرسول ! بلّغ ما أنزل إليكَ من ربكَ * وإن لم تفعل * فما بلغتَ رسالته * والله يعصمكَ من الناس * إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [سورة المائدة/٦٧] .

إنكاره الرسالة ؛ وما يرد من الرسول في الأمور الدينية ، كما يدل على أن عدم اتباعه ﷺ يتنافى مع الإيمان (٣) ، فقد اصطفي الله الرسل من عباده ليبلّغوا شريعته إليهم بوحي متلو كان أو غير متلو ؛ و بين مسئولياتهم التبليغ بما جاء به إليهم ؛ فقال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [سورة الأنعام/١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ [سورة النحل/٣٥] فكل ما يدل على وجوب الإيمان به ﷺ ؛ فهو كذلك يدل على حجية سنته التي جاءت عنه في توضيح شريعته عزّوجل .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله * والكتاب الذي نزّل على رسوله * والكتاب الذي أنزل من قبل * ومَن يكفر بالله * و ملائكته * وكتبه * ورسله * واليوم الآخر * فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ [سورة النساء/١٣٦]، وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ومَن يكفر بالله و ملائكته ... إلخ ﴾، يقول الطبري ومعناه : ومن يكفر بمحمد ؛ وبما جاء به من عند الله ، لأن جحود شئ من ذلك يعني جحود جميعه ، ولأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق إلا بالإيمان بما أمره الله بالإيمان به ؛ والكفر بشئ منه كفر بجميعه (٤) .

وقال تعالى : ﴿ قُل : يا أيها الناس ! إني رسول الله إليكم جميعاً * الذي له ملك السماوات والأرض * لا إله إلا هو يُحيي ويُميت * فآمنوا بالله و رسوله النبي الأمي * الذي يؤمن بالله وكلماته * واتبعوه * لعلكم تهتدون ﴾ [سورة الأعراف/١٥٨] .

(٣) يقول الدكتور عبد الغني عبد الخالق : إن الإيمان برسالة محمد ﷺ ؛ معناه : التصديق والإذعان برسالته ؛ وبجميع ما جاء به من عند الله ، سواء أورد ذكره في القرآن أم لا ؟ راجع : حجية السنة : ص/٢٩١ .

(٤) ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير آي القرآن : ج/٤ ، ص/٣٢٥ (بيروت ؛ دار الكتب العلمية ، ط/١ ، سنة ١٩٩٢م) .

قال القاضي عياض : "فالإيمان بالنبي الكريم محمد ﷺ واجب متعين ، لا يتم إيمان إلا به ؛ ولا يصح إسلام إلا معه" (٥) ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ ومَن يؤمن بالله ورسوله * فإنّا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴾ [سورة الفتح/١٣] .

و قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله * وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا * حتى يستأذنوه * إن الذين يستأذنونك * أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله * فإذا استأذنوك لبعض شأنهم * فأذن لمن شئت منهم * واستغفر لهم الله * إن الله غفور رحيم ﴾ [سورة النور/٦٢] .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : "فجعل كمال ابتداء الإيمان ، الذي ما سواه تبع له – الإيمان بالله – ثم الإيمان برسوله ، فلو آمن عبد به ؛ ولم يؤمن برسوله ، لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً ، حتى يؤمن برسوله معه" (٦) ، والرسول أمين في تبليغ شرع الله ، فلا يبلغ في أمر الدين إلا ما يوحي إليه ؛ فمقتضى الرسالة يوجب الاعتماد على السنة ؛ و الاحتجاج بها .

وقال تعالى : ﴿ ويقولون : آمنا بالله وبالرسول * وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك * وما أولئك بالمؤمنين * وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم * إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون * أن يحيف الله عليهم و رسوله * بل أولئك هم الظالمون * إنما كان قول المؤمنين : إذا دُعُوا إلى الله و رسوله ليحكم بينهم * أن يقولوا سمعنا وأطعنا * وأولئك هم المفلحون * و مَن يُطع الله و رسوله * و يخش الله * ويتّقه * فأولئك هم الفائزون ﴾ [سورة النور/٤٧-٥٢] .

---

(٥) حجية السنة : ص/٢٩٢ .

(٦) الإمام الشافعي : الرسالة : ص/٧٥ (مصر: مصطفى البابي الحلبي ؛ ط/١، سنة ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م) .

يقول الإمام الشافعي رحمه الله : فأعلم الله الناس في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكم بينهم دعاء إلى حكم الله ؛ لأن الحاكم بينهم رسول الله ﷺ ، و إذا سلموا لحكم رسول الله ﷺ ، فإنما سلموا لحكمه بفرض الله (٧)، وهذا يدل على حجية السنة ؛ والاحتجاج بها كالقرآن في الحكم .

٢- الآيات القرآنية التي تدل على وجوب إطاعة الرسول الكريم ﷺ :

فمن الآيات القرآنية التي تدل على وجوب إطاعة الرسول الكريم ﷺ فيما يأمر به ؛ وينهى عنه ؛ وعلى أن طاعة الرسول الكريم ﷺ طاعة الله تعالى ؛ وما يدل على التحذير عن مخالفته في حكمه وقضائه ، قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول * لعلكم تُرحمون ﴾ [سورة آل عمران/١٣٢] قرن الله تعالى طاعة رسوله بطاعته في هذه الآية ؛ ومثل هذه الآية كثيرة (٨) .

وقال الله عزّوجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! أطيعوا الله * وأطيعوا الرسول * وأولي الأمر منكم * فإن تنازعتم في شئ * فردّوه إلى الله و الرسول * إن كنتم تؤمنون بالله * و اليوم الآخر * ذلك خير و أحسن تأويلاً ﴾ (٩) ، روى القاضي عياض عن عطاء : أن الرد إلى الرسول : هو الرجوع إليه في حياته ؛ وإلى سنته بعد وفاته .

وأمر الله تعالى إتباع الرسول فيما يأمر وينهي ؛ فقال تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول * فخُذُوه * وما نهاكم عنه * فانتهوا ﴾ [سورة الحشر/٧] ،

---

(٧) الرسالة : ص/٨٤ .

(٨) قال تعالى : ﴿ قُل : أطيعوا الله والرسول * فإن تولّوا * فإنّ الله لا يُحبّ الكافرين ﴾ [سورة آل عمران/٣٢]؛ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! أطيعوا الله ورسوله * ولا تولّوا عنه * وأنتم تسمعون ﴾ [سورة الأنفال/٢٠]؛ وقال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله * وأطيعوا الرسول * واحْذروا * فإن تولّيتم * فاعْلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ [سورة المائدة/٩٢] .

(٩) سورة النساء/٥٩ ؛ حجية السنة : ص/٢٩٨ .

واعتبر الله عزّوجل طاعة رسوله طاعةً له واتباعه ﷺ حباً له ؛ فقال تعالى : ﴿ مَن يُطع الرسول * فقد أطاع الله ﴾ [سورة النساء/٨٠] ، وقال الله تعالى : ﴿ قُل : إن كنتم تُحبّون الله * فاتّبعوني يُحببكم الله * و يغفر لكم ذنوبكم * و الله غفور رحيم ﴾ [سورة آل عمران/٣١] .

وجعل بيعة رسوله كبيعته عزّوجل ؛ فقال تعالى : ﴿ إن الذين يُبايعونك * إنما يبايعون الله * يد الله * فوق أيديهم ﴾ [سورة الفتح/١٠]؛ وحذّر الله تعالى من مخالفة أمر رسوله ؛ فقال : ﴿ لا تجعلوا دُعاء الرسول بينكم * كدعاء بعضكم بعضاً * قد يعلم الله الذين يتسلّلون منكم لواذاً * فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة * أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [سورة النور/٦٤] ، بل أشار إلى أن مخالفة الرسول سبب لدخول النار؛ كما أن إطاعته سبب لدخول الجنة ؛ فقال تعالى : ﴿ ومَن يُطع الله ورسوله * يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها * وذلك الفوز العظيم * ومَن يعص الله و رسوله * ويتعدّ حدوده * يُدخله ناراً خالداً فيها * وله عذاب مهين ﴾ [سورة النساء/١٣-١٤] ، و بين الله تعالى بأن مخالفة الرسول تؤدي إلى إحباط العمل ؛ فقال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله * وشاقّوا الرسول من بعد ما تبيّن لهم الهدى * لن يضروا الله شيئاً * وسيحبط أعمالهم ﴾ [سورة محمد/٣٢] ، و لم يبح للمؤمنين أن يخالفوا أوامره و قضاءه و أوجب النزول على حكمه في كل خلاف ؛ فقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة * إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم * ومَن يعص الله ورسوله * فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ [سورة الأحزاب/٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون * حتى يحكّموك فيما شجر بينهم * ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ * و يُسلّموا تسليماً ﴾ [سورة النساء/٦٥] .

قال ابن القيم : "أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه ، على نفي الإيمان

عن العباد ، حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق و الجليل ؛ ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم – بمجرده – حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ؛ ولم يكتفوا منهم أيضاً بذلك ، حتى يسلّموا تسليماً ؛ وينقادوا انقياداً" (١٠) .

إن هذه الآيات وغيرها نصّ قرآني صحيح على وجوب إطاعة الرسول الحبيب ﷺ في كل ما يأمر به أو ينهى عنه ؛ و على عدم مخالفة أمره وقضائه ؛ وعند التنازع يجب الرجوع إلى الله تعالى ؛ أعني كتابه ؛ وإلى الرسول في حياته ؛ وإلى سنته بعد وفاته ﷺ ؛ وجعل طاعة الرسول كطاعة الله ، فكيف يمكن طاعة الرسول ؛ واتباع بكل ما ثبت عنه بدون إقرار حجية سنته المطهرة ؟ كما أن الآيات التي نستدل بها على حجية السنة ، لا يثبت أنها قرآن إلا بخبره ﷺ ، فالشك في حجية السنة كشك في القرآن الكريم نفسه .

٣- الآيات القرآنية التي تدل على أن الرسول الكريم ﷺ مبين للقرآن ؛ وشارح له :

فمن الأدلة على حجية السنة الآيات القرآنية التي تدل صراحة على أن الرسول الكريم ﷺ مبين للقرآن ؛ وشارح له شرحاً معتبراً عنده تعالى ؛ وأنه يعلم الأمة الكتاب والحكمة بشرح غوامضه ؛ وبيان مجمله ؛ وتخصيص عامه ؛ وهذا يستلزم حجية بيانه للقرآن بقوله أو فعله أو تقريره ﷺ .

لقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن مسئولية الرسول الكريم بالنسبة للقرآن أنه مبين له ، فيبين للناس ما خفي عليهم من مقاصده ؛ ويشرح لهم طرق تنفيذه ؛ فقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر * لتبين للماس ما نزل إليهم * ولعلهم يتفكرون ﴾ [سورة النحل/٤٤] .

(١٠) ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين عن رب العالمين : ج/١، ص/٧٥ (مصر : مطبعة السعادة ، ط/١، سنة ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م) .

كما أخبر تعالى بأن مهمته ﷺ إيضاح الحق حين يختلف فيه النلس ؛ فقال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتُبين لهم الذي اختلفوا فيه * وهُدىً ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾ [سورة النحل/٦٤] .

كما أن الله افترض الصلاة بدون ذكر مواقيتها في القرآن ؛ وذكر الزكاة بدون مقاديرها ؛ وأن النبي الكريم ﷺ بين مواقيت الصلاة ؛ ومقادير الزكاة في تفسير ؛ قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة * وآتوا الزكاة * وأطيعوا الرسول * لعلكم تُرحمون ﴾ [سورة النور/٥٦] ؛ فلو لم تكن السنة حجة ؛ فكيف نفهم معنى هذه الآية ؟ وأين نجد مقادير الزكاة ؛ ومواقيت الصلاة ؟

وأن الله تعالى قرن "الحكمة" بالكتاب ؛ ثم أخبر أنه أوتي "القرآن" و "الحكمة" ليعلم الناس أحكام دينهم ؛ وهذا يشير إلى أن المراد بالحكمة ؛ هي السنة ، فقال تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم * يتلو عليكم آياتنا * ويُزكّيكم ويُعلّمكم الكتاب والحكمة * ويُعلّمكم * ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [سورة البقرة/١٥١] ؛ وقال تعالى : ﴿ لقد مَنّ الله على المؤمنين * إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم * يتلو عليهم آياته * ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة * وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [سورة آل عمران/١٦٤] ؛ وقال تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأمّيين رسولاً منهم * يتلو عليهم آياته * ويُزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمة * وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [سورة الجمعة/٢] ؛ وقال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة * وعلّمكَ ما لم تكن تعلم * وكان فضل الله عليكَ عظيماً ﴾ [سورة النساء/١١٣] ؛ وقال تعالى : ﴿ واذْكروا نعمة الله عليكم * و ما أنزل عليكم من الكتاب و الحكمة * يَعظُكم به ﴾ [سورة البقرة/٢٣١] .

إن كلمة "الحكمة" ؛ جاء ذكرها بعد "الكتاب" ؛ وهو القرآن ؛ فالقرنية تدل على أن المراد بالحكمة ؛ هي "السنة" ؛ وذكر الطبري بأنه اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة ، فقال بعضهم : هي السنة ؛ وهذا

مروى عن قتادة (١١) ، وقال بعضهم : الحكمة هي المعرفة بالدين والفقه فيه ؛ ثم ذكر الطبري : والصواب من القول عندنا في "الحكمة" أنها العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول الكريم ﷺ والمعرفة بها ؛ و ما دلّ على ذلك من نظائره (١٢) ، وقد ذهب جمهور العلماء والمحققين إلى أن "الحكمة" غير القرآن ؛ وهي ما اطلعه الله عليه من أسرار دينه ؛ وأحكام شريعته ؛ ويعبر العلماء عنها بالسنة (١٣) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : "فذكر الله الكتاب ؛ وهو القرآن ، وذكر الحكمة ، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن ، يقول : الحكمة سنة رسول الله ﷺ (١٤) ؛ فكان الإمام الشافعي يريد أن يبين أن الحكمة ؛ هي "السنة" إذ أن الله عطفها على الكتاب ؛ و هذا يقتضي المغايرة كما لا تصح أن تكون شيئاً أخر غير القرآن والسنة ، لأن الله تعالى منّ علينا بتعليمها ؛ والمن لا يكون إلا بما هو صواب ؛ فتكون الحكمة أيضاً واجبة الاتباع كالقرآن ، فتعين أن تكون الحكمة بمعني السنة .

فقد ثبت بهذه الآيات القرآنية صراحةً على حجية سنة نبيه الأمين ،

---

(١١) جامع البيان في تفسير آي القرآن : ج/١، ص/٦٠٧ .

(١٢) المرجع السابق : ج/١، ص/٦٠٨ .

(١٣) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٥٠ .

(١٤) يقول الشافعي رحمه الله : وهذا يشبه ما قال ؛ والله أعلم ، لأن القرآن ذكر واتبعته الحكم ، وذكر الله منّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة هنا إلا سنة رسول الله ﷺ ؛ وذلك أنها مقرونة مع الكتاب ، وأن الله افترض طاعة رسوله ، وحتم على الناس اتّباع أمره ، فلا يجوز أن يقال لقول فُرض إلا لكتاب الله ؛ وسنة رسوله ﷺ لما وصفناه من أن الله جعل الإيمان برسوله مقروناً بالإيمان به ، الرسالة : ص/٧٨ .

إذ أن القرآن شاهد عل كون وظيفة الرسول الحبيب ﷺ أن يبين للناس ؛ ويفصل ويشرح بقوله وفعله وعمله ؛ فيفصل لهم ما أجمل ؛ ويبين لهم ما أشكل ؛ وهذه الوظيفة كلفها الله نبيه الأمين ﷺ حيث جعل رسوله شارحا ومبينا للقرآن ، ومن البديهي أن الشرح والبيان زائد على القرآن ، فلو لم يشرح النبي الكريم ﷺ مشكله ومجمله من القرآن ؛ فكأنه لم يؤد مسئوليته ؛ وهل يتصور ذلك في شأن النبي الكريم ﷺ ؟ وإن ثبت الشرح والبيان عنه ﷺ ؛ وهذا لا شك فيه ؛ فكيف لا يكون هذا الشرح والبيان حجة ؛ وقد ثبت بالقرآن بأن الله كلفه على الشرح والبيان ، أليس ذلك إنكارا للكتاب نفسه الذي كلف نبيه ﷺ مهمة الشرح والبيان ؟ فهذا يستلزم حجية ما جاء عن النبي الكريم ﷺ ؛ وهو السنة .

٤- الآيات القرآنية التي تدل على أن الله كلفه باتباع ما يوحي إليه وبتبليغ جميع ما أنزل إليه :

فمن الأدلة على حجية السنة الآيات القرآنية التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى كلفه ﷺ باتباع ما يوحى إليه ؛ وبتبليغ جميع ما أنزل عليه ونهاه عن التقصير في شئ منه مخافة للناس ؛ حيث ضمن الله ذلك بأنه يعصمه من الناس ، هذا كله يستلزم حجية السنة وحقيقتها ؛ و وجوب التمسك بها .

إن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه الأمين باتباع ما يوحي إليه ؛ ونهاه عن اتباع الهوى ؛ فقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي ! اتق الله * ولا تطع الكافرين والمنافقين * إن الله كان عليما حكيما * واتبع ما يوحى إليك من ربك * إن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ [سورة الأحزاب/١-٢] ؛ وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق * مصدقا لما بين يديه من الكتاب * ومهيمنا عليه * فاحكم بينهم بما أنزل الله * ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [سورة المائدة/٤٨] .

وأوجب عليه تبليغ ما أنزل إليه بصدق وأمانة بدون مخافة الناس حيث وعد الله تعالى بأن يعصمه عن الناس ؛ فقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول ! بلّغ ما أُنزل إليك من ربك * وإن لم تفعل * فما بلّغتَ رسالته * والله يعصمكَ من الناس * إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [سورة المائدة/٦٧] ؛ فبلغ النبي الكريم ﷺ ما أمره الله تبليغه وبيانه بصدق وأمانة ؛ وشهد الله على ذلك ؛ فقال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى * ما ضلّ صاحبكم * وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى ﴾ [سورة النجم/١-٤] ؛ فلو كان النبي الكريم ﷺ قصر في تبليغ رسالته أو بلغ ما لو يؤمر تبليغه لحلت عقوبة ربه ؛ فقال تعالى : ﴿ و لو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [سورة الحاقة/٤٤-٤٧] .

وأن الله تعالى وصف نبيه ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ ﴾ [سورة القلم/٤] ؛ وهذا يدل على أنه امتثل أوامر الله ونواهيه بوجه تام ؛ وأنه أدّى الرسالة حق الأداء ؛ وقام بها على الوجه الأكمل ؛ لأنه على خُلق عظيم ؛ فلو كان النبي الكريم ﷺ يبلغ خلاف ما شرع الله تعالى لما كان ممتثلاً لأوامر الله في التبليغ ؛ ولما كان متصفاً بصفة : "خلق عظيم" .

وأن الله تعالى وصف نبيه ﷺ شارعاً للتحليل والتحريم ؛ فقال تعالى في وصف نبيه ﷺ : ﴿ يأمرهم بالمعروف * وينهاهم عن المنكر * ويُحل لهم الطيبات * ويُحرم عليهم الخبائث * ويضع عنهم إصرهم والأغلال * التي كانت عليهم ﴾ [سورة الأعراف/١٥٧] ؛ وما دام اللفظ عاماً ؛ فهو شامل لما يحله ويحرمه مما مصدره القرآن أو مصدره وحيٌ يوحيه الله إليه (١٥) ؛ لأنه أوتي القرآن ؛ ومثله معه .

فهذه الآيات كلها تستلزم حجية السنة ؛ والوجوب على التمسك بها لما ثبت أن السنة ؛ هي وحي منزل؛ معناه من الله تعالى ؛ وإن كان غير جلي بإلهام أو منام .

(١٥) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص/٥١ .

كما أن الله تعالى أوجب إطاعته في جميع ما يصدر عنه ؛ لأنه هو أسوة حسنة ؛ فالسنة التي هي ما جاء عنه من قول أو فعل ؛ يجب الامتثال بها ؛ وتكون حجة بلا شك ؛ فقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ * لمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر * وذكر الله كثيراً ﴾ [سورة الأحزاب/٢١] .

قال محمد بن علي الترمذي رحمه الله : "الأسوة في الرسول الأعظم ﷺ : الاقتداء به والاتباع لسنته ؛ وترك مخالفته في قول أو فعل (١٦) ، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية بأنها أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ و لهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي الكريم ﷺ في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهداته (١٧) .

خلاصة الكلام والاستنتاج :

إن حجية السنة ضرورة دينية ، فلو لم تثبت حجية السنة ، هذا يلزم عدم إثبات حجية القرآن أيضاً ، لأن القرآن لا يمكن أن نعرفه قرآناً إلا بالرواية عنه ﷺ على ما أنزله الله عليه بواسطة جبرائيل عليه السلام ؛ إذ القرآن كتاب الله ؛ هو أصل أساسي للتشريع الإسلامي ؛ وأن السنة هي الموضحة لأحكامه ؛ والمفصلة لإجماله ؛ والهادية إلى طرق تطبيقه ؛ فهما صنوان لا يفترقان ، ومنبعان للتشريع متعاضدان ، ولا شبهة في أن طاعة الرسول طاعة لله ؛ ومخالفة أمره معصية لله ، فمن أنكر حجية السنة ؛ فكأنه أنكر القرآن الذي أثبت حجية السنة ؛ فلا غنى عن سنة الرسول الكريم ﷺ ، لأنها نوع من الوحي ؛ ولا فرق في الاحتجاج بها للحكم الشرعي بينها وبين القرآن ، فكل ما حرمه الله وحلله ؛ وكل ما حرمه الرسول وحلله ؛ متساويان في الامتثال بهما ؛ وأنهما بدرجة واحدة في الحكم ، ولا يمكن فصل الكتاب عن حامل الكتاب إلا بإنكار الكتاب نفسه .

*****

(١٦) حجية السنة : ص/٣٠٤ .

(١٧) مختصر ابن كثير : ج/٣، ص/٨٨ .

نظرة عابرة على القضاء و القضاة في الإسلام

[٣/الأخيرة]

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(محاضر بجامعة دار العلوم الإسلامية ؛ بستي - الهند)

شروط وآداب مندوبة للقضاة :

الواجبات المندوبة والكمالية والآداب للقضاة كثيرة :

ومنها أن يكون القاضي عالما بالعربية وتعابيرها وما ينوط بها من العلوم ، عالما بلغة المنطقة التي يجعل فيها قاضيا ، عالما بلغة الوثائق والمستندات وغيرها ، عالما بأعراف الناس ومعاملاتهم ، ومنها المشاورة لأهل العلم والفقه والورع ، والذكاء والفطنة ، والتأني ، والوقار ، والهيبة ، و العبوس من غير غضب ، والتواضع من غير ضعف ، والقوة من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، والكف عن المحارم وخوارم المروءة ، ومنها رفض قبول الهدايا ، والتجنب عن الرشوة وبطانة السوء والبعد عن العجلة وغلظ القلب ، وعن الخلوة في منزله مع أحد الخصمين ، وعن قبول الدعوة من أحد الخصمين بعدا عن مظنة التهمة ، وينبغي للقاضي أن يكون نظيف الجسد واللباس ، ويتجنب عن قذارة الجسد و وسخ اللباس ، ويراعي في مجلس الحكم غموض الطرف ، وكثرة الصمت ، وقلة الكلام ، وتقليل الحركات والإشارات ، ويبدأ مجلسه بركعتين بنية النفل ويدعو الله بعدها ، ويجلس للقضاء في حالة نفسية مطمئنة هادئة ، ولا يجلس في حالة تشوش الذهن واضطراب البال ، ويبتعد عن التضاحك والتشاغل بالحديث في مجلس القضاء ، ويسوى بين الخصمين في المجلس و منهج الكلام والنظرة ورفع الصوت وخفضه وغير ذلك بكثير .

طلب القضاء :

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز طلب القضاء وبذل الجهود

لتحصيله ، لأن الرسول الكريم ﷺ ؛ قال : "من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء وكل إلى نفسه ، ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده" (٨١) ، إلا أنه إن اجتمعت شروط أهلية القضاء في رجل ، ولا يوجد مثله الصالح للقضاء ، وخاف أنه لو لم يطلب القضاء لتولاّه من ليس بصالح له ، فيلزم عليه طلب القضاء ، والسعي في تحصيله ، رعايةً لمصالح المسلمين و وقاية لحقوقهم عن الضياع .

ويجوز طلب القضاء للمعسر الفقير ذي العيال الذي يهدف بهذه الوظيفة قضاء حاجته ؛ وحاجات أهله ؛ وعياله ، بشرط أن يكون أهلاً للقضاء .

أما حامل الذكر الذي لا يعرفه الأمير والمسلمون فيستحب له طلب القضاء حينما يريد إفادة الناس ونفعهم من علمه وكفاءته بشرط أن لا يكون غيره أصلح للقضاء منه (٨٢) .

وهناك بحث طويل في ترغيب القضاء والترهيب عنه ، لا تسع إحاطته هذه العجالة الوجيزة ، وموجز البحث أن ليس الفضل الموجود في الأحاديث النبوية بصدد القضاء إلا لمن يكون أهلاً للقضاء قادراً على القيام بمسئولياته و واجباته بكل عدل و ورع ، أما التحذير والترهيب عن القضاء فهو للجاهلين عن القضاء ، الراغبين فيه لتحصيل الجاه والشهرة و الصيت بين الناس ، العاجزين على تأدية حقوق القضاء والقيام بمسئولياته ، الراكنين إلى الظلم والجور .

وقد ورد في الحديث : "من ولي القضاء أو جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين" (٨٣) ، وهذا يؤشر إلى ما يوجد من المخاطر والمسئوليات العملاقة في منصب القضاء ، وما أحسن ما كتبه الطرابلسي ، قال بعض أهل العلم : هذا الحديث دليل على شرف القضاء وعظيم منزلته ، وإن المتولي له مجاهد لنفسه وهواه ، وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق ، إذ جعله ذبيح الحق امتحاناً لتعظم له المثوبة امتناناً ، فالقاضي

لما استسلم لحكم الله وصبر على مخالفة الأقارب والأباعد في خصوماتهم ؛ فلم يأخذه في الله لومة لائم ؛ حتى قادهم إلى أمر الحق ، وكلمة العدل وكفهم عن دواعي الهوى والعناد ؛ جعل ذبيح الحق لله ؛ وبلغ به حال الشهداء الذين لهم الجنة (٨٤) .

واجب الأقليات المسلمة :

الأقليات المسلمة التي تعيش في دولة غلبة الكفار يجب عليها أن تتخذ لها أميراً ، ثم الأمير يعين القضاة لكي يتم تطبيق الأحكام الشرعية في ذلك المجتمع الإسلامي العائش تحت حكم غير إسلامي حسب المستطاع ، ولا تكون الأحكام الشرعية معطلة ولكنه لو لم يتم اختيار الأمير بسبب تشتت المسلمين وعدم اتفاقهم على أحد منهم ، ثم أجمع ذوو الحل والعقد على تولية أحد منهم القضاء صح ، ومعلوم أن نظام القضاء نظام أكيد لا يستغني عنه المجتمع الإسلامي ، فحينما لم يمكن إقامة نظام القضاء والإمارة على صعيد أوسع وعلى المستوى الحكومي للظروف الخاصة ، فتعود المسئولية على العلماء من كل منطقة من الدولة غير الإسلامية أن يقوموا بتعيين القضاة على صعيد محدود لكي تتحقق مصالح المسلمين .

لأنه مهما انقلبت الأوضاع لا تسقط عن الأمة فريضة إقامة المحكمة الشرعية وقطع المنازعات وتنفيذ الأحكام الشرعية حسب ما أمكن ، ويندرج هذا في إطار قول الله جل وعلا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! ادخلوا في السلم كافة * ولا تتبعوا خطوات الشيطان * إنه لكم عدوّ مبين ﴾ (٨٥).

(٨١) جامع الترمذي : ٦٠٥/٣ .

(٨٢) انظر : للتفصيل : معين الحكام للطرابلسي وأدب القاضي للماوردي

(٨٣) جامع الترمذي . (٨٤) معين الحكام : ٨ . (٨٥) سورة البقرة/٢٠٨ .

المراجع الأخرى : المبسوط للسرخسي ٥٩/١٦-٦٠ ، والموسوعة الفقهية بحث القضاء ، المجلد الثالث والثلاثون ، وكتاب الأم للشافعي وغيرها .

دراسات و أبحاث :

دور القنوات الفضائية وقدرتها
الإعلامية في حياتنا المعاصرة

بقلم : الأستاذ محمد نعمة الله محمد إدريس الندوي

إن الإعلام بوسائله التقنية الحديثة ، دخل طورا جديدا من التأثير والنفوذ في حياة الأمم والمجتمعات ، نتيجة التقدم التقني الذي شهدته هذه الوسائل المعروفة بوسائل الإعلام الجماهيري في العقود الأخيرة من القرن العشرين ، فأصبحت أجهزة الإعلام اليوم تمتلك من الطاقات والإمكانيات والإغرات ؛ وقوة التأثير الثقافية ، ما تفتقده وسائل التأثير الأخرى ؛ حيث لم تعد تقتصر على توجيه الرأي العام ، والتحكم به حسب أهدافها ومقاصدها ؛ وإنما بدأت تحتل العقول ، والعواطف والهوايات والأوقات جميعها ، وجعلت الإنسان أسيرا لها ، وذلك بعد ما ارتبطت أجهزة التلفاز بالقنوات الفضائية التي تبث برامجها عبر الأقمار الصناعية ، إذ لم يعد بثها محصورا في مكان أو حدود سياسية ، أو بقعة جغرافية ؛ بل أصبح يتخطى الحدود ، و ربما يجاوز كل وسائل الرقابة ، ودخل جميع البيوت دون استئذان ، وملء فراغها بهدوء تام ، وصار للقنوات الفضائية أثر كبير في صياغة ثقافة الأسرة ، وتكوين عاداتها وتقاليدها ؛ نظرا لما تتمتع به حرية الحركة ، والتجوال بين أفرادها ، من خلال برامجها الثقافية والتربوية والترويحية .

وبما أن القنوات الفضائية تتميز بقدرتها على تغطية مواقع الأحداث بسرعة وجاذبية ، وتأثيرها أكبر من غيرها من وسائل الإعلام الأخرى ؛ إذ

يتمتع التلفاز بنقل الصوت والصورة ؛ واللون والحركة معاً (١) ؛ وبما تقدمه من معلومات سريعة ومؤثرة في جميع جوانب الحياة ؛ فإنها بالتالي أحدثت ثورة إعلامية تثير اهتمام جميع شرائح المجتمع دون تفريق بين أمي وقارئ ، وصغير وكبير، وتحيط بالمشاهد من كل جانب ، وتخاطبهم بلغات مختلفة ليلاً ونهاراً ؛ ولم يعد المرء يستطيع أن يحي دون مواكبة ما يدور حوله من وقائع وتطورات على الساحة المحلية والعالمية ، فثورة الاتصالات التي يشهدها العالم اليوم ، جعلت الأرض رغم كبر مساحتها ، قرية صغيرة ، يطلع الإنسان على أحداثها ؛ و يشاهد ما يقع فيها ، و يحصل على المعلومات بمجرد حركات بسيطة بجهاز التحكم عن بعد لنظام الاستقبال الموجود أمامه .

وقد استخدمت الدول الكبرى هذه التقنيات الإعلامية المتطورة المتمثلة في القنوات الفضائية ؛ والشبكات التلفازية العالمية ، لتنفيذ غاياتها ودعم مصالحها (٢) ، واتخذتها وسيلة للتغلغل في المجتمعات النامية ؛ ومنها الدول العربية والإسلامية ؛ لغرض هيمنتها السياسية ، وسيطرتها الاقتصادية ، وغزوها الثقافي ؛ بإخضاع شعوبها لإرادتها في الفكر والثقافة ؛ والفن والرياضة ؛ والدين والأخلاق ؛ وصولاً إلى العولمة التي تحمل رايتها الدول .

وللأسف الشديد طبقت مخططات الغرب ، تلك الدول العربية والإسلامية التي وقعت فيها هذه الوسائل الحديثة في أيد غير أمينة ، فأساءت

(١) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية للدكتور محي الدين عبد الحليم : ص/٤٣ .

(٢) وليس أدل على ذلك ، مما قامت به شبكة "CNN" الفضائية من المساهمة الكبيرة ، والدور الريادي في قصف بغداد ، وتدمير منشآتها العسكرية والحكومية ، ومراكز اتصالاتها السلكية واللاسلكية ، ومرافقها الحيوية بواسطة مراسليها الموجودين ، في فندق "رشيد" ، إذ كانوا يحددون المواقع التي لم يتم قصفها ، فتسارع الطائرات إلى تسويتها بالأرض (راجع للتفصيل : "الإعلام الغربي وآثاره" للأستاذ نذر الحفيظ الندوي باللغة الأردية : ص/٢٢ وما بعدها) .

استخدامها إساءة بالغة ، ببث تلك البرامج الهابطة ، والمسلسلات الرخيصة التي تتنافى تماماً مع العقائد الإسلامية ؛ والقيم الدينية ؛ والأخلاق الفاضلة.

ولكن هذه الوسائل والتقنيات بقدر ما تشكل خطورة على القيم والعادات والاتجاهات للأمة ، فإنها يمكن أن تمنح لها الحلول والمعالجة ، وبمقدار ما تشكل من نقمة ، فإنه يمكن تحويلها إلى نعمة ، إذا استطعنا إحسان التعامل معاً .

ومن هنا تبرز أهمية البث الفضائي المباشر في الدعوة إلى الله ، لعمارة الكون بالعدل ؛ والخير ؛ والسعادة (٣) .

كيف نستخدم الفضائيات في الدعوة إلى الله :

لعلنا نستطيع أن ندرك بسهولة مما قلنا آنفا ، ذلك الدور الفعال ؛ والمهم الذي يمكن أن تؤديه القنوات الفضائية في تبليغ دعوة الإسلام إلى البشرية قاطبة ، بما تملك من الإمكانيات الهائلة في سعة الانتشار والسرعة في توصيل المعلومات ، إذ تصل إلى ملايين من الناس في لحظة واحدة ، وخاصة بعد أن عرفنا أن الدعوة مهمة إعلامية في طبيعتها ، ورسالة عالمية في شموليتها ، وتبليغها واجب على الأمة جمعاء .

أما كيفية استغلال القنوات الفضائية للأهداف الدعوية ، فيمكن تلخيصها في المقترحات التالية :

١- التشجيع على فهم الدين فهما صحيحا ، وتصحيح المعتقدات الخاطئة ؛ والأفكار المنحرفة ، والمفاهيم المشوهة التي هي منتشرة بين عامة

(٣) راجع في الموضوع بحث الدكتور عبد الستار الهيتي بعنوان : "الدور الدعوى لقناة الشارقة الفضائية" : ص/١و٨و٩ ، وبحث الدكتور علي حسين الدوري بعنوان : "البث الفضائي وآثاره على القيم العربية والإسلامية" : ص/٣ ، والأستاذان من كلية التربية في سلطنة عمان ؛ وقدما بحثهما في ندوة "مقتضيات الدعوة وفق المعطيات المعاصرة" ، وراجع كذلك المقال السابق الذكر في مجلة : "البيان" ؛ العدد/١٤٨، ص/١١٤ .

المسلمين بسبب جهلهم بالدين ، وابتعادهم عن كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ؛ والفضائيات أقدر الوسائل الإعلامية على أداء هذه المهمة لمخاطبتها جميع فئات المجتمع ، ولا ينبغي الاقتصار في هذا الأمر وغيره من الأمور الدعوية على الكلمات والمحاضرات والحوارات ؛ بل لابد من التوسل ببرامج متنوعة تستفيد من طبيعة التلفاز الذي يقدم المادة الإعلامية بالصوت والصورة لا بالصوت وحده .

٢- الترغيب في أداء العبادات المفروضة ، والتحذير من مغبة الإهمال فيها ، وما يترتب عليه من خسائر دنيوية وأخروية ، وبيان ما تحقق للإنسان من طمأنينة نفسية ؛ وسعادة قلبية ؛ ولذة إيمانية ، وينبغي التركيز بصفة خاصة على الصلوات الخمس بنقل شعائرها على الهواء مباشرة من مساجد مختلفة ، ومن الممكن إجراء اللقاءات مع المصلين الخارجين من المسجد ، لاستكشاف ما يجدون في صلواتهم من راحة بال ؛ وحلاوة إيمان .

٣- طرح الحلول للقضايا العصرية التي تتعلق بشئون المرأة ؛ وحقوق الإنسان ، ومشكلات الشباب ، ومعاملات المال والاقتصاد ؛ أو ما تستجد من استكشافات علمية ، ومخترعات حديثة ، وأحداث جديدة بأسلوب مشوق ومرغب ، يتفاعل معه الجمهور ؛ ليعرفوا رأي الدين والحل الأمثل لها .

٤- تكثيف برامج "أسئلة واستفسارات" على الهواء مباشرة لتوجيه الناس في أمور دينهم ودنياهم .

٥- تعديل سلوك الجماهير بما يتلاءم مع جوهر هذا الدين ، والإسهام في التقويم الخلقي للناس ، ولا سيما الشباب ، لخلق أجيال مؤمنة بربها ، وإرساء قواعد الحق والفضيلة ، وغير ذلك من القيم التي يدعو إليها الإسلام ، ويستعان في هذا الباب بإنتاج برامج تلفازية هادفة تزرع في النفوس تلك القيم ، وتدعو إلى التمثل والتخلق بها .

٦- العمل على إنتاج البرامج الدرامية من المسلسلات ؛ والتمثيليات ؛ والأفلام ؛ والمسرحيات التي لا تخرج عن الضوابط الشرعية ؛

والروح الدينية ، وتخلو عن كل ما يخالفها من البذاء ؛ والفحش ؛ و المنكرات ، وتبرز جانبا من جوانب الحضارة الإسلامية ، أو تدعو إلى خلق من الأخلاق السامية .

٧- العمل على إنتاج البرامج المسلية والمشوقة للأطفال ؛ كبرامج الصور المتحركة الهادفة التي يمكن تضمينها قصة من قصص التاريخ الإسلامي ، أو موقفا من مواقف الصحابة ، و السلف الصالح ، لتكون بديلا صالحا للأفلام الكرتونية التي لها آثار سلبية ضارة على الأطفال .

٨- الحرص على إبراز سماحة الإسلام وعالميته وقدرته على مواكبة روح العصر ، وتحقيق السلام ؛ والتعارف ؛ والتعايش بين البشر ، وضمانه لحقوق الإنسان في أرقى صورها ومعاداته للتمييز العنصري ؛ والتطرف ؛ والتعصب ، والتأكيد على أن الإسلام يحترم الأديان السماوية الأخرى ، ولا يكن أي بغضاء للمؤمنين بها أو يسعى لعداوتهم ، لأن الإعلام الأجنبي يحاول تصوير الإسلام كعدو وحيد تجب محاربته والتصدي له .

٩- محاربة المسميات التي تسيئ إلى الإسلام والمسلمين ؛ والتي يطلقها الإعلام الأجنبي لأغراض خبيثة متعمدة ، مثل إطلاقه صفة "الإسلامي" أو "الأصولي" إلى أي عمل إرهابي أو متطرف ، فهناك فرق كبير بين الأصولية التي هي دعوة للعودة إلى الجذور ؛ وللأصول ؛ والتمسك بأهداف الدين ، و بين الإرهاب الذي هو ظاهرة عالمية لا علاقة لها ؛ بالإسلام ، ويجب التصدي لها ومحاربتها ، لأنها بعيدة كل البعد عن جوهر الإسلام الذي هو دين المحبة ؛ و التسامح ؛ و السلام ؛ و الإحسان ؛ و العدالة ؛ والمساواة ، وكذلك يجب الرد على كل الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام ؛ وتصحيح معلومات غير سليمة عنه .

١٠- اختيار الأفلام العلمية لعرضها وبثها ، لأنها تنمي لدى المشاهد ملكة التأمل والتفكير في قدرة الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام نشأ مساندا للعلم .

١١- التصدي للغزو الثقافي الأجنبي ؛ وحماية الأجيال الصاعدة من إغراءات هذا الغزو ؛ ودعواته المفتوحة للانحراف ؛ والإباحية ؛ والجنس ؛ والعنف .

١٢- الاهتمام بقضايا الشعوب الإسلامية ؛ وتخصيص برامج لها لجذبها، مع التأكيد على أهمية التضامن بين المسلمين لمواجهة تحديات العصر؛ إذ تجمعهم وحده المصير ؛ والأهداف ؛ والمصالح .

١٣- إنتاج برامج راقية على مستوى رفيع تظهر وجه الإسلام النير ، ودور الحضارة الإسلامية ؛ والإنجازات التي حققها ، وسيرة حياة الشخصيات الإسلامية الرائدة في مجالات العلم والتقدم بكافة اللغات الحية بهدف عرضها للشعوب الأجنبية .

١٤- تطوير البرامج الدينية " وتبسيطها ضمن خطة شاملة تعيد النظر في الأساليب المتبعة حاليا ، وتبتكر الجديد في مجال مخاطبة المتلقى ؛ ولا سيما الشباب ، بإتباع أحدث الأساليب ؛ وأكثرها تشويقا وإثارة ؛ حتى تتحول إلى عوامل الجذب ؛ وتحقق الأهداف المرجوة .

فقد أسفرت الدراسات التي أجريت في عدد من بلدان العالم أن غياب البديل السليم ؛ هو أهم العوامل المؤثرة في اندفاع الشباب ؛ نحو أفلام الجنس والجريمة ؛ ونحو ذلك ، فالشباب لا يبحث عن البرامج التافهة والخلقية إلا حينما يفقد البديل الصحيح (٤) .

السلبيات والمعوقات :

ليس الهدف من هذا العنوان ؛ هو الاستقصاء للسلبيات والعوائق لوسيلتي الإعلام : الإنترنت ؛ والبث الفضائي في سبيل استخدامهما للدعوة إلى الله ، بل المقصود الإشارة إلى أبرزها ، بغية الوصول إلى العلاج الممكن ، ومن ثم التعرض لبعض التوصيات والاقتراحات .

(٤) بحث الدكتور عبد الستار الهيتي بعنوان : "الدور الدعوى لقناة الشارقة الفضائية": ص/١٣ .

فنذكر فيما يلي السلبيات والعوائق البارزة :

١- كثرة المواقع الإباحية التي يحملها الإنترنت ؛ وتنشط في ترغيب الفاحشة ؛ وتزيين الرذيلة ، وبإمكان الشخص المستخدم الوصول إليها ، رغم وسائل المنع و برامج الحجب ؛ كما يمكن له إقامة علاقات مشبوهة عن طريق غرفات التحدث وبرامجه المتعددة ، و وسائل البريد الإلكترونية ، وكذلك غزت القنوات الفضائية المتخصصة في بث الفسق ؛ والفجور ؛ والمجون ، العباد في عقر دارهم ؛ فتبث السموم والشرور ، وتعلم الانحراف الخلقي والانحلال الاجتماعي ، وتنشر العنف والجريمة والشذوذ بين صفوف الأطفال والشباب .

٢- تتخصص المواقع الأخرى في الإنترنت في ترويج الأفكار الضالة ؛ والمذاهب الهدامة ، وقد سبقت إلى إنشائها قبل أصحاب الحق ؛ الفرق التي هي محسوبة على الإسلام ؛ وهو منها برئ كبراءة الذئب من دم يوسف ، كالقاديانية والبهائية وغيرهما ؛ ونجحت للأسف الشديد نجاحا لا يتخيله عقل في تضليل غير المسلمين ، أن الذي تدعو إليه ؛ هو الإسلام الصحيح ، أما أعداؤها من اليهود والنصارى ؛ فحدث عنهم ولا حرج ، إنهم ما تركوا صغيرة ولا كبيرة إلا استغلوها لتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وفي الجانب الآخر : ليست الفضائيات متخلفة عن قرينتها ، فيما تضخ من أفكار منحرفة ؛ وعقائد فاسدة ؛ وآراء باطلة ، عبر برامجها ؛ ومسلسلاتها ؛ وأفلامها .

٣- عدم قبول طائفة من العلماء الآلات الحديثة كوسائل دعوية ؛ ورفض استخدامها ، على أساس أنها مصادر العلمانية ؛ والثقافية الغربية ، و وسائل الغزو الفكري والأخلاقي ؛ للشباب المسلم خاصة ؛ والمجتمعات الإسلامية عامة ، فإنهم لا يستخدمون الإنترنت ؛ أو الفضائيات في الدعوة

الإسلامية ؛ أو لغيرها من المصالح النافعة (٥) .

٤- عدم وجود قنوات فضائية إسلامية سواء كانت حكومية ؛ أو غير حكومية ، مع وجود إمكانيات هائلة ؛ وثروات ضخمة لدى الحكومات ؛ والأفراد في الدول الإسلامية ، وإن كان بعض الأغنياء من أبناء المسلمين قد استغلوا ثرواتهم في إنشاء الفضائيات ؛ لكن المؤسف أنها متخصصة في الغناء ؛ والرقص ؛ واللعب ؛ والدعايات التجارية ، وتستعبد العباد ببرامجها السيئة ، فتفسد ولا تصلح ؛ وتقرب إلى الشر ؛ ولا تعين على الخير ، وتوصل إلى الإثم والعدوان ؛ ولا تبعد ، وفي نفس الوقت تجد المواقع الإسلامية التي تبنتها الجهات الحكومية ؛ والمؤسسات الإسلامية الكبرى في شبكة المعلومات العالمية ، لا تعدو عدد الأصابع .

٥- عدم وجود كوادر إعلامية متخصصة في المجالات الدعوية ، فالذين يقومون بالبرامج الدعوية في الإعلام الحديث ، لم يلموا بفنونه ، والذين عرفوها لم يفقهوا من الدعوة ؛ وعلومها شيئا .

العلاج والتوصيات :

نلخص العلاج الممكن للسلبيات والمعوقات في نقطتين ، ثم نعقبها بذكر تلك التوصيات التي نراها ضرورية للارتقاء بعمل الدعوة في العصر الحاضر .

١- حماية عقول الشباب وأخلاقهم من شرور شبكة المعلومات و الفضائيات وآفاتها ، بإيجاد الحصانة القوية المتمثلة في تعزيز الوازعين الديني والخلقي في نفوسهم ، فما لا يختلف فيه اثنان أن الرقابة الذاتية ؛ هي الحل الأمثل دائما وأبدا ، وذلك بالإضافة إلى اختيار الوسائل والأنظمة التي

(٥) راجع بحث الدكتور أحمد فاضل يوسف ؛ جامعة برونائ بعنوان : "أهمية المعلومات التقنية وأثرها في الدعوة إلى الإسلام بجنوب شرق آسيا" والذي قدمه لندوة "مقتضيات الدعوة" : ص/٨ وما بعدها .

تتحكم في القنوات الفضائية للحيلولة دون القنوات غير المرغوب بها ، وتحميل البرامج التي تعمل بطريقة الحجب في الحاسب المنزلي لمنع ظهور المواقع الإباحية ، مثل : Net Nammy و Space for Kids. ، وهذه البرامج موجودة في الإنترنت نفسه .

٢- رفض استخدام الإنترنت والقنوات الفضائية للمهام الدعوية ، لا يستند إلى دليل شرعي لعدم وجود نص في التحريم و الكراهية من القرآن الكريم ؛ أو السنة ؛ أو الإجماع ؛ أو المذاهب الفقهية ؛ أو اجتهادات علماء العصر ، إلى جانب كونهما مجرد وسائل تحمل الخير والشر ، والأصل فيها الإباحة ما لم يوجد مانع ؛ كما مر علينا سابقا .

٣- إنشاء قنوات فضائية إسلامية تتولاه الدول والحكومات ؛ أو شركات القطاع الخاص ، فمن حق المسلمين في الغرب والشرق أن يجدوا وسط البحر المتلاطم من الفضائيات المفسدة المدمرة ، فضائيات تصحح لهم عباداتهم وتعلمهم أمور دينهم ، وتذكي فيهم الانتماء وتقوي فيهم الولاء ؛ وتربطهم بأمتهم ؛ ودينها وتاريخها ؛ وأحوال شعوبها ؛ وهمومهم .

٤- إنشاء المواقع الإسلامية من قبل الجهات الحكومية النشطة في مجال الدعوة ؛ والمؤسسات الإسلامية المعروفة التي تتجه إليها الأنظار، مثل : رابطة العالم الإسلامي ؛ ومنظمة المؤتمر الإسلامي ؛ و وزارة الشئون الإسلامية ؛ والأوقاف ؛ والدعوة ؛ والإرشاد ، وتكون مزودة بجميع المحتويات المهمة ؛ والخدمات الدعوية ؛ مثل : ترجمة معاني القرآن الكريم في أكثر من لغة ، والفتاوى الشرعية ، وإقامة خط للفتوى ، والأشرطة السمعية والمرئية للعلماء والمشايخ ، والكتب المختصرة المفيدة في التعريف بالإسلام ، ومنابر الحوار والمناقشة ، وخدمة البريد الإلكتروني ، ومحرك بحث يجمع تحته جميع المواقع الإسلامية ؛ وما إلى ذلك ؛ إلا أن التركيز يجب أن يكون على المهام التالية :

- إعداد مكتبة إسلامية كبيرة يرجع إليها الباحثون من دول العالم .
- تأسيس مدرسة إسلامية للتعليم عن بعد ؛ نظرا لتعذر إرسال معلمين لجميع دول العالم لتعليم دين الله تعالى .
- تسهيل عملية الاتصالات بين المراكز الإسلامية في العالم لمناقشة هموم الدعوة ؛ وتبادل المعلومات ؛ والآراء فيما يخص الأمة الإسلامية ؛ وغير ذلك من أساليب التعاون .
- تعميم برامج تدريبية للدعاة في مختلف المواد من التوحيد ؛ والحديث ؛ والفقه ؛ والدعوة ؛ وما إليها .

٥- قيام علماء الأمة الإسلامية المعروفين بتصميم مواقع شخصية لهم على شبكة الإنترنت تعرض فيها نشاطاتهم ؛ ومحاضراتهم ؛ ومؤلفاتهم ؛ وآراؤهم الفقهية ؛ وخطبهم الأسبوعية ؛ وما إليها ، كما فعل فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي (www.qardawi.net) وغيره ، وكلما زادت مواقع العلماء المتخصصين ؛ ومراكز الدعوة الإسلامية ، كلما زادت الضغوط على الفرق المنحرفة ؛ وفشلت جهودهم .

٦- إعداد دعاة إعلاميين وتخريجهم إكاديميا من كليات الإعلام الإسلامي بعد إنشائها أو من إحدى تخصصات كليات الإعلام ، وكذلك تقرر مادة الدعوة للإعلاميين ، حيث تكون إجبارية ؛ ولا يتخرجون إلا بعد تحقيق النجاح الكبير فيها ، إلى جانب ذلك توجه العناية إلى تخريج متخصصين في إعداد البرامج الدعوية ؛ وإخراجها من النواحي الفنية .

٧- إنشاء وكالة أنباء إسلامية تكون مصدرا موثوقا لأخبار العالم الإسلامي ؛ وأحداثه خاصة ؛ ولأخبار العالم عامة .

٨- الاستفادة من الثورة العلمية و التقنية في إنتاج تلفزيوني دعوي ، و تقديمه على مستوى راق من الإبداع لجذب المشاهدين ؛ و التأثير فيهم .

خلاصة البحث :

بعد دراسة موضوع الدعوة إلى الله ، وإمكانية الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة في تبليغها إلى الناس ، وتناول عناصره بالتحليل ؛ و الاستنتاج من جوانب عدة ، نأتي إلى ختام الجولة المتواضعة مع الموضوع ، لأقدم أهم ما جاء فيه مع الاعتراف بالقصور في استيفاء حق التلخيص ، فأقول :

١- الدعوة إلى الله مما تحتاج إليه البشرية أكثر من حاجتها إلى الغذاء و الكساء ، لتخرجها من الظلمات إلى النور ، و من الضلال إلى الهدى ، ومن الشقاء إلى السعادة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، فالفطرة البشرية المتململة المضطربة لا يمكن أن تسعد أو تستقر وتستريح ، إلا بالدعوة إلى دين الله الحق لقوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا * فلن يقبل منه * وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [سورة آل عمران/٨٥] .

٢- القيام بتبليغ هذه الدعوة إلى الناس أجمعين ، واجب الأمة الإسلامية التي ما حازت شرف "الخيرية" و "الوسطية" إلا بما أنيط بها حمل هذه المسئولية العظمى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا الوجوب عيني وكفائي معا ، بمعنى أن كل فرد من أفراد الأمة مطالب بالدعوة ، بالقدر الذي يعلمه ويقدر عليه من جهة ، وعليه أن يساهم مساهمة جادة فعالة في إعداد جماعة متخصصة للدعوة تكون أعلم وأقدر للقيام بالمهمة .

٣- ولكون الدعوة إلى الله مهمة إعلامية في طبيعتها وحقيقتها و وظيفتها ، فلابد من اتخاذ كافة السبل والوسائل المشروعة المتاحة لنشرها وتبليغها أسوة بالنبي الكريم ﷺ ، إذ عاش حياته الحافلة بالدعوة ، مستغلا جميع الوسائل المتوافرة آنذاك ، ومضيفا تلك الوسائل الجديدة التي لم يكن للعرب عهد بها ، مثل القدوة الحسنة ؛ والاتصال الشخصي ؛ والمسجد ؛

وخطبة الجمعة ؛ والجهاد في سبيل الله ، واحتذى المسلمون بعده حذو نبيهم ﷺ ، واستخدموا كل ما ظهر واستجد من وسائل ، على مدى العصور و الدهور لأداء الفريضة ، فلما انتشرت الكتب والصحف والمجلات انتشارا واسعا ، وظهر المذياع والتلفاز في القرن العشرين ، كان لهذه الوسائل دور بارز ومهم للغاية في خدمة الدعوة ونشرها .

٤- الإعلام الآن فن مستقل بذاته ، عرف بعد الحرب العالمية الثانية ، لكنه قديم قدم الإنسان على وجه هذه الأرض ، لأنه لا يمكن أن يعيش بدون اتصال وتعارف وتعاون ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وجعلناكم شعوبا وقبائل * لتعارفوا ﴾ [سورة الحجرات/١٣] ، وكان لكل مجتمع من المجتمعات وسائل خاصة به يعتمد عليها للاتصال ؛ وقضاء المصالح ، وكلما تطورت المجتمعات وتقدمت ، كلما تطورت الوسائل الإعلامية ، واقترنت بها الدعوة الإسلامية منذ ظهورها كما عرفنا ، إلى أن جاء العصر الحديث بأدوات وتقنيات ومخترعات في مجالات الاتصالات والمعلومات لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري ، ومن أحدثها الإنترنت والبث الفضائي ، ولهاتين الوسيلتين الإعلاميتين قدرات هائلة في توصيل الرسائل الإعلامية ؛ وتحقيق غايتها .

٥- ما يوفره الإنترنت والبث الفضائي من خدمات وإمكانات ؛ وما يتميزان به من سرعة متناهية في إيصال المعلومات ؛ وتبادلها ، وما يتصفان به من عوامل الجذب والإبهار ، والإقناع والتأثير والتفاعل والتجاوب ؛ جعلهما من أنفع الوسائل وأجداها وأفضلها بلا ارتياب ، في تبليغ الدعوة ؛ و تحقيق الأهداف المنشودة منها ، ومن هنا لا ينبغي الاحتراز والابتعاد عنهما ؛ نظرا لسلبياتهما وآثارهما السيئة ، وآفاتهما المنتشرة ؛ كما هو رأى بعض العلماء ، فإنهما يمثلان سلاحا ذا حدين ، وقد استخدمهما أهل الباطل لأغراضهم الخبيثة الفاسدة ، أليس الأجدر بنا نحن أهل الحق أن نستغلهما لإعلاء الحق ، حسب ما تملى وتلح علينا متطلبات العصر ومقتضياته ، و

ذلك ترجيحا للمصالح والفوائد ، وتمسكا بأن الأصل في الوسائل الإباحية .

٦- كيف نستفيد أو نستخدم الإنترنت و الفضائيات في الدعـــوة إلى الله ؟ سؤال تجد الإجابة الشافية عليه - بإذن الله - في الفصل الثـالث (٦) من البحث ، إذ فصلنا القول في موقعه ، وهو تفصيل لا يمكن اختصـــاره ، فيرجع إليه ، ولكن من باب التلميح ؛ أقول : يمكن الاستفادة من الإنـترنت في الدعوة عبر خدمات البريد الإلكتروني ؛ ومنتديات الحـوار ؛ وغرفـات التحدث ، وبالمبادرة إلى إنشاء المواقع الإسلامية المشتملة على المعلومات الموثوقة المركزة عن الدين الإسلامي ، ومحاسنه ؛ وقيمه ؛ وما شابهه ؛ والمـزودة بكافـة الأدوات والخدمات التي تفسح المجال لها الشبكة ؛ وتتوافق مع طبيعتـــها ، أمـا الفضائيات ، فإلى جانب الدروس ؛ والمحاضرات ؛ والنـدوات ؛ والحـوارات ؛ واللقاءات ؛ والاستفتاءات على الهواء مباشرة يجب أن تبث الـــبرامج الهادفـة للدعوة إلى الله ، مع ضرورة الالتزام بالقواعد الشرعية .

٧- وأخيرا إذ أوصي الإفادة من جميع الوسائل العصرية المشروعة ؛ والتقنيات الحديثة في تبليغ الدعوة ؛ ونشر الإســـلام ، أرجـو أن تكـون التوصيات والاقتراحات المذكورة في آخر البحث مثار اهتمام المســئولين ، والغيورين من أبناء الأمة القادرين على التنفيذ ، لترى النـور في المسـتقبل القريب ؛ وتترجم إلى واقع ملموس ، وليس ذلك على الله بعزيز ، إنه نعـم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

(٦) وقد نشر في العدد العاشر ؛ للمجلد/٤٧ .

وجهة نظر:

بين الأدب العربي والأدب الإسلامي

بقلم : الدكتور مسعود راجي
أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها ، جامعة أحمد بلو زاريا (نيجيريا)

بالرغم مما قد قام به الباحثون الأدباء من تحديد الأدب الإســـلامي منذ ظهوره كمذهب من مذاهب الأدب العربي الحديث ، ومن تنظـــيره و تمييزه عن الأدب العربي (١) إلا أن العلاقة بين الأدبين لا تزال في شئ مـــن الغموض ، ولا جدال في كون الأدب الإسلامي وليد الأدب العربي ؛ كمـا لا جدال في كون الحياة الإسلامية وليدة الحياة العربية ، ولكن مثار الجـدال هو في استقلال الأدب الإسلامي ؛ وقيامه بمعزل عن الأدب العربي ؛ كمـا هو في قيام الحياة الإسلامية في عزلة عن الحياة العربية ، ولذلك يرى هـــذا الباحث أن الغموض القائم بين الأدبين ؛ يرجع إلى عدم التفريق منذ القـدم تفرقة دقيقة بين الحياتين الإسلامية والعربية اللتين يقوم الأدبان بتصويرهمـا ؛ لأن الأصل في الأدب الفني قيام حياة معينة يقوم بتصويرهـا أو محاكاتهـا ؛ كما يتمثل فيها المنهج الذي تقوم عليه الحياة .

(١) راجع : د/عبد الباسط بدر، مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، دارالمنارة - جدة ؛ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م : ص/٤٣-٥٩ ، - د/صالح آدم بيلو ، من قضايا الأدب الإسلامي ، دار المنارة - جدة ؛ سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م : ص/٥١-٧٩ ، د/عبد القدوس أبو صالح ، من شبهات المعارضين للأدب الإسلامي ؛ البعـث الإســلامي ؛ العدد الثالث ، المجلد/٣٩ ؛ سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م حيث يبين الفرق بـين الأدب العربي والأدب الإسلامي .

ولكن زال بعض الغموض بحكم تأثير الحضارة الغربية في الأمة المسلمة حين انفرط عقد وحدتها ؛ و انقسمت إلى الأمتين العربية و الإسلامية ، أدركت منها الأمة لأول مرة أن هناك فرقاً قائماً بين الحياتين العربية والإسلامية من جهة ، وبين المسلم العربي ؛ والمسلم العجمي من جهة أخرى على أنهما يعيشان حياة إسلامية واحدة ، كما أدركت الأمة من الثورة القومية العربية على تراث الثقافة الإسلامية ؛ والأدب العربي القديم بصورة خاصة ، وتجديده في ضوء الأدب الإفرنجي أن الأدب العربي الحديث تصوير ناطق بالحياة العربية الحديثة (٢) بينما يظل الأدب العربي القديم تصويراً رائعاً للحياة الإسلامية ، فهل من غريب إذا لم يزل هناك بين الأدبين أو الحياتين غموض يستهدف إزالته هذا المقال ؟

وسيتم ذلك ببيان العلاقة الأساسية التي يرجع إليها الغموض بين الحياتين العربية والإسلامية ، والسؤال الفصل في هذا الصدد ؛ هو هل هناك حياة إسلامية تتوافر فيها جميع ما تتوافر في الحياة العربية من الخصائص الطبيعية ؟ إذا كان الجواب : "نعم" ، فلابد أن يكون هناك أدب إسلامي مقابل الأدب العربي ، يقوم بتصوير الحياة الإسلامية مقابل الحياة العربية ، وأما إذا كان الجواب : "لا" ، فإنه لمن العبث أن نتكلم عن أدب إسلامي ؛ هو في عزلة عن الأدب العربي .

ظهور الأدب الإسلامي في الأدب العربي :

كان الأدب العربي معروفاً قبل الإسلام بالأدب العربي الجاهليّ ؛ لأنه تصوير للحياة العربية القائمة على المنهج الجاهلي ، وبعد حوالي مائة

(٢) راجع : د/أحمد هيكل ، الأدب القصصي والمسرحي في مصر ؛ دار المعارف - القاهرة : ص/١٣-٢٨ ، د/شوقي ضيف ؛ الأدب العربي المعاصر في مصر - القاهرة ؛ سنة ١٩٦١م : ص/١١-٣٧ .

و خمسين سنة تقوض المنهج عن المنهج الإسلامي ؛ فقامت الحياة العربية على المنهج الإسلامي ؛ وتحوّل الأدب العربي الجاهلي بالطبع إلى الأدب العربي الإسلامي ، والمتوقع أن يبقى هذا الإسم ما بقيت الحياة العربية على المنهج الإسلامي ، ولكن لم يلبث أن اختفى الأدب الإسلامي ؛ وحلّ محله الأدب العربي في كثير من المراجع (٣) بعد سقوط العصر الأموي ؛ ولم يظهر أيضاً إلا في أواخر القرن العشرين الميلادي ؛ حين شهد العالم الإسلامي حركة بحث علمي عن مفهوم جديد للأدب الإسلامي ممتاز من الأدب العربي ؛ ومضارع لغيره من مفاهيم الأدب ؛ وتياراته الفكرية الحديثة المختلفة ، ومما أثار هذه الحركة طغيان الأدب العربي الحديث على الأدب العربي (الإسلامي) القديم ؛ وتطوره في ضوء الأدب الإفرنجي على حساب الأدب القديم (٤)، وفي سنة ١٩٦١م؛ نشر في القاهرة محمد قطب كتاباً بعنوان :

(٣) باستثناء د/محمد عبد المنعم خفاجي ، الذي يقول بأن الأدب العربي منذ ظهور الإسلام ؛ حتى اليوم يمكن أن يقال عنه : إنه أدب إسلامي ، راجع كتابه : الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام - بيروت ؛ سنة ١٩٧٣م : ص/١٦، ثم راجع بصورة خاصة أحمد حسن الزيات ؛ تاريخ الأدب العربي - بيروت ؛ بدون تاريخ : ص/٨٠-٢٠٩، الباب الثاني : "عصر صدر الإسلام والدولة الأموية" حيث يتناول العناوين الجانبية الآتية : الأدب الإسلامي ؛ ومصادر الأدب الإسلامي ؛ وأنوع الأدب الإسلامي ، ... ثم يتدرج على العصر العباسي ؛ حيث : "أثمرت الفنون الإسلامية ورهت الآداب العربية" (لا الآداب الإسلامية) : ص/٢١٠ .

(٤) راجع : عباس محمود العقاد ؛ وإبراهيم المازني ، الديوان : كتاب في النقد والأدب ؛ المجلد الأول والثاني - القاهرة ؛ سنة ١٩٢١م ، عباس محمود العقاد ؛ شعراء مصر وبيئتهم - القاهرة ؛ سنة ١٩٣٧م ، ميخائيل نعيمة ، الغربال - بيروت ؛ سنة ١٩٦٤م .

"منهج الفن الإسلامي" ؛ وهو يدعو فيه المسلمين الذين ثاروا على تراثهم الإسلامي ؛ ثم هجروه باسم التجديد إلى تراث الأدب الإفرنجي لعلهم يثوبون إلى رشدهم ؛ ويرجعون إلى ما عندهم من تراث فني ، قام هو باستعراضه وجلائه ؛ و جعله لهم على طرف الثمام ؛ حتى وإن كانوا يجهلونه (٥) ، ولكن هذا الكتاب بمثابة استجابة لدعوة شقيقه الشهيد سيد قطب الذي يعتبر أول أديب ناقد ؛ دعا إلى المذهب الإسلامي في الأدب والنقد بُعيد ثورة ١٩٥٢م ، وكتب في الموضوع عدة مقالات حملت الأدباء والنقاد على مناقشته منذ ذلك الوقت (٦) ، وفي السنة ١٩٦٣م نشر بطرابلس (ليبيا) الدكتور نجيب الكيلاني كتاباً آخر نيتجة لهذه المناقشات عنوانه : "الإسلامية والمذاهب الأدبية" ، ثم أقيمت بالهند سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م بمبادرة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وبالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ندوتان أدبيتان كان موضوعهما الأدب الإسلامي ، أطلق فيهما النقاد والمؤرخون الأدباء عنان أقلامهم في شتى أبعاد هذا الموضوع (٧) ، ومن

(٥) محمد قطب ؛ منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق - بيروت ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

(٦) ومنها ما نشر في مجلة : "المقتطف" عام ١٩٣٩م ؛ تحت عنوان : "التصوير الفني في القرآن" ، ثم نشر كتاباً فيما بعد ، راجع سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، الطبعة الثالثة - بيروت ؛ سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

(٧) راجع : د/صالح آدم بيلو ؛ من قضايا الأدب الإسلامي ، المرجع السابق : ص/٨-٩ لمزيد البيان ، ومجلة : "البعث الإسلامي" ؛ العدد (الأول والثاني) الخاص بالندوة ، المجلد/٢٦ ؛ سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، و من بحوث الندوة العالمية للأدب الإسلامي ، د/فتحي عثمان ؛ الأدب الإسلامي في تراثنا التاريخي والجغرافي ؛ و الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ؛ البعث الإسلامي ؛ العدد الثاني ؛ المجلد/٢٨ ؛ سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م : ص/٣٩-٦٢ .

الذين قد ساهموا كذلك في حركة الأدب الإسلامي الدكتور عبد الباسط بدر (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) الذي يرى أن الأدب الإسلامي حديث العهد من ولدان القرن العشرين ، وأن مثله كمثل المذاهب الأدبية الحديثة الصادرة من الثقافة الغربية غير أنه مع ذلك عريق الجذور في الأدب العربي القديم ، ذلك أن الأستاذ يعترف بظهور الأدب الإسلامي لأول مرة بعد تحول الحياة العربية الجاهلية إلى الحياة العربية الإسلامية ؛ ومن تأثر الأدب الجاهلي بالروح الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم ؛ والحديث الشريف ؛ والخطب الدينية فيما بين عصر صدر الإسلام ؛ والعصر الأموي ، ولكن أجدادنا ، على حد قول د/عبد الباسط ، لم يستخدموا اصطلاح الأدب الإسلامي لسببين رئيسيين (٨) ، ثم يحاول الدكتور بدر في دراسته أن يقدم للأدب الإسلامي نظرية علمية بعد تحديده وتمييزه عن الأدب العربي ، كما يحاول أن يستميل الدارسين بأن إيجاد الأدب الإسلامي أو تنظيره لن يحدث مكانة الأدب العربي (٩) ، و قد كتب كثير من غير أولئك المذكورون أعلاه في تعريف الأدب الإسلامي ومجالاته ؛ وغير ذلك ، إلا أن العلاقة بينه وبين الأدب العربي ؛ لا تزال في شئ من الغموض .

بين الحياة العربية والحياة الإسلامية :

كانت الحياة العربية كغيرها من الحيوات الطبيعية قائمة قبل الإسلام على المنهج الجاهلي ، لها موقعها الجغرافي ؛ ولها أمتها العربية ؛ ولغتها العربية ، ومن طبيعة الحياة أن يتمثل فيها المنهج الذي تقوم عليه ؛ ويسود نشاطاتها ، ثم تتجدد الحياة بتجدده عبر عصور تاريخية .

و على هذا المبدأ تجدد منهج الحياة العربية من الجاهلي إلى

(٨) د/عبد الباسط بدر؛ مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ، المرجع السابق : ص/٨٥ وما بعدها .

(٩) المرجع نفسه : ص/٨١-١١١ .

الإسلامي ؛ وإلى الغربي الحديث دون أن تتحول جنسية أمتها العربية إلى جنسية أمة أخرى ؛ ولا لغتها العربية إلى لغة أخرى جديدة غير عربية إلا قدر ما تقتضيه تلك المناهج المتجددة ، فكانت الحياة العربية في أول أمرها جاهلية ، ثم تحولت فيما بعد إلى الحياة الإسلامية ؛ فالحياة الغربية الحديثة اليوم ، فالمقصود بالحياة الإسلامية في هذا الاصطلاح ؛ هو الحياة (العربية) القائمة على المنهج الإسلامي ؛ لأن الإسلام منهج من مناهج الحياة ضربه سبحانه وتعالى للعالمين ليطبقوه على حيواتهم الطبيعية المتباينة ، فتمكنت الشعوب ؛ و القبائل العجمية المختلفة من دخول الإسلام في سهولة بهذا المعنى ، وما كان الإسلام حياة طبيعية لها موقع جغرافي معين مع أمة معينة ؛ ولغة خاصة ؛ كما هو الحال في الحياة العربية قبل الإسلام ، ولو كان الإسلام حياة طبيعية لتعذر على الحياة العربية أن يتمثلها ؛ لأنه من المتعذر للحياتين الطبيعيتين أن يتمثل بعضهما بعضا .

والحياة الطبيعية التي أنزل الله عليها هذا المنهج السماوي ؛ هي الحياة العربية ، فتقمصها المنهج الإسلامي بالطبع عند نزوله ؛ ونشأته في الجزيرة العربية ، ثم تقوض عنه المنهج الجاهلي ؛ فتمثل المنهج الإسلامي في الحياة العربية ؛ وامتزج بها على هذا الوجه امتزاجا كيماويا ، فتواجدت الحياة العربية الإسلامية المختصرة إلى الحياة الإسلامية ، ولكن الحياة الإسلامية ؛ كما سبق البيان منهج إسلامي معنوي لا حقيقة له في واقع الوجود إلا إذا تمثل في حياة معينة ؛ كما حدث للحياة العربية بطريقة مباشرة أو غير العربية بطريقة غير مباشرة ، وقد انتشر الإسلام في الواقع من الجزيرة العربية إلى أنحاء المعمورة في صورة الحياة العربية الإسلامية ؛ لأن المنهج الإسلامي السماوي لم يتمثل عند نزوله في غير الحياة العربية ، ولا سبيل لغير العربية من الحيوات أو اللغات إلى تمثل الإسلام إلا بواسطة الحياة العربية ؛ و لغتها بصورة خاصة ، وليس هناك دليل أقطع من انتشار الإسلام

في القرون الأولى ؛ لا سيما في الأعاجم الذين فتح العرب المسلمون بلادهم ، فدخلوا في الإسلام باعتباره دين العرب الفاتحين أو منهج حياتهم ، لا فرق في ذلك بين دخول الإسلام ؛ وبين دخول الحياة العربية ، فتعرب من الأعاجم ملايين ليصبحوا من بين العرب المسلمين ، بل أصبح عربيا كل من تكلم منهم اللغة العربية .

خاتمة :

يرجع الغموض القائم بين الأدب العربي والأدب الإسلامي إلى عدم التفريق ، منذ العصور الغابرة ، بين الحياة العربية والحياة الإسلامية اللتين يقوم الأدبان بتصويرهما ، ذلك لأن الأصل في الأدب الفني قيام حياة معينة مع أمتها ولغتها على منهج معين يتمثل في الحياة ، ثم يقوم الأدب بتصوير هذه الحياة في اللغة التي جبلت عليها (١٠) ، وعلى هذه المبادئ وجدت الحياة العربية القائمة على المنهج الجاهلي مع تصويرها في الأدب العربي الجاهلي في اللغة العربية الفصحى ، ومن طبيعة الحياة أن تتجدد كلما تجدد المنهج الذي تقوم عليه عبر العصور إلا فيما فطرت عليها الحياة كجنسيتها ؛ ولغتها ؛ وأمتها وغير ذلك ، فقلما تتجدد هذه الخصائص بتجدد المنهج ، ولا شك في أن المقصود بالحياة الإسلامية ؛ هو المنهج الإسلامي للحياة ، وليس بحياة طبيعية ؛ لأن العربي الجاهلي لا تتغير عروبته بعد إسلامه ؛ وإنما يتحول منهج حياته ؛ فيصبح مسلما بينما يبقى عربيا ، فالحياة العربية قد مرت بثلاثة مناهج الحياة ؛ ولم تتغير خلالها الجنسية العربية إلى غيرها ، وكان لكل من المناهج تصوير رائع للحياة العربية المعينة ؛ كما يتمثل المنهج فيها ،

(١٠) ومما قد طرأ على الأدب الفني أن يقال أو يكتب في غير لغة الحياة التي يقوم بتصويرها ، فيوجد اليوم من أجل ذلك الأدب العربي في اللغة الإنجليزية ؛ أو العكس على وجه المثال .

فظهر الأدب العربي الجاهلي للحياة العربية الجاهلية ، والأدب العربي الإسلامي للحياة العربية الإسلامية ، والأدب العربي الحديث للحياة العربية الحديثة .

وإذا ثبت أن المراد بالحياة الإسلامية – في تكونه وتحوله من الهدي السماوي إلى المنهج الإسلامي في الواقع – هو الحياة العربية الإسلامية ، فالأدب الإسلامي كان ولا يزال مختصرا للأدب العربي الإسلامي ، وهو التصوير الصحيح للحياة الإسلامية بمعنى الحياة العربية الإسلامية التي انتشر الإسلام في صورتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وليس بالأدب العربي ؛ كما هو في تاريخ الأدب العربي (١١) ، ومهما يكن من الأمر فقد ظهر الأدب (العربي) الإسلامي في عصر صدر الإسلام ؛ فتحول في تاريخ الأدب العربي بعد العصر الأموي إلى الأدب العربي ؛ حتى بعد ما أصبح الأدب العربي علما من العلوم الإسلامية ، و لم تزل الحياة العربية وغيرها قائمة على المنهج الإسلامي ؛ لا سيما بين الأعاجم المسلمين ؛ حيث تطور الأدب في غضون العلوم الإسلامية ؛ و ازدهر بقيام الحياة الإسلامية ؛ و ثقافتها العربية ، ولكن مع ذلك ، فإن الحياة الإسلامية جزء لا يتجزأ من الحياة العربية ، ولا وجود لها بمعزل عن الحياة العربية ؛ لأنهما متلازمتان ، ولا تنفصل الحياة الإسلامية أبدا عن الحياة العربية ؛ حتى ولو لم تكن بينهما غير رابطة لغوية ، كما أن الأدب الإسلامي جزء من الأدب العربي لا يتجزأ عنه ، ولا يتواجد الأدب الإسلامي في عزلة عن الأدب العربي ، فموقفه عند الأدب العربي لا يتجاوز مذهبا من مذاهبه الحديثة ، وأما موقف الأدب الإسلامي من الأدب العربي القديم ، فينبغي أن يكون قد ذاب في الأدب الإسلامي ؛ ويتسمى باسمه : "الأدب الإسلامي" .

---

(١١) لأن الأدب العربي على حدته ؛ لا يذكر المنهج الذي يتمثل في الحياة العربية كالمنهج الجاهلي ؛ أو الإسلامي ؛ أو الغربي ، والذي ينبغي أن يصوره فيها الأدب العربي ؛ كما هو في الأدب العربي الجاهلي .

في الشعر والأدب :

حبّ المشفع صلّى الله عليه وسلّم

بقلم : الأستاذ محمد ضياء الدين الصابوني
(عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية)

حب المشفع مذهبي و يقيني
و مديحه في الغائبات يقيني
أنا في جوارك لائذ و مؤمل
و لكم سعدت براحة و سكون !
فمتى أفوز بنظرة ؛ يا سيدي !
و متى ؟ أكحل من ثراك عيوني ؟
يا روح روحي ؛ يا حياتي ؛ يا منى
أملي ؛ و إيماني ؛ و عين يقيني
إني نزيلكم سعدت بقربكم
و صفت حياتي بعد طول شجون
= = =
عطفا (أبا الزهراء) إني مسني
ضر و منكم نفحة تشفيني
حاشا أضام – و إني برحابكم –
لا ؛ و الذي خلق الورى من طين

أحببت (آل البيت) من حبي لكم
هو شرعتي ما عشت بل هو ديني
يا (آل بيت المصطفى) ؛ يا سادتي !
ما كنت يوما في الورى بضنين
عطفا (أبا الزهراء) إني مدنف
و بحبكم أصبحت كالمفتون
يا خير داع للهدى ؛ كم مهتد
بحديثكم في رقة و بلين !
يا فاتح العبرات من آفاقها
يا راحم الضعفاء و المسكين
يا رحمة للعالمين و أسوة
للمؤمنين ، و سلوة لحزين
عطفا (أبا الزهراء) أنت المرتجى
بعد الإله ، و أنت خير معين
لي في مديحك منية و كرامة
و شفاعة عظمى بيوم الدين
أنا مادح المختار خادم شرعه
و مديحه من فيضه يرويني
و لقد خصصت الشعر في مدحي لكم
مثل اختصاص الاسم بالتنوين
إن عنف العذال لا أصغي لهم
للقوم دينهم ولي أنا ديني

حسبي مديح الهاشمي (محمد)
هو فيض إيماني و عين يقيني
لا تعذلوني في المحبة إنها
خلقي ، و منهاجي و من تكويني
يا رب ! يا غوث الضعيف و من إذا
يوما مرضت فإنه يشفيني
و إذا الليالي أظلمت و تجهمت
لذنا بحصن شامخ و حصين
فرج إلهي الكرب وامح الذنـ
ـب عن نفسي كما فرجت عن (ذي النون)
وأجب دعانا طالما عودتنا
عند الشدائد : يا عبادي ادعوني ..
كل وفى و قضى عليه ديونه
أما أنا ، بقيت علي ديوني
و إليك يا رباه دعوة (شاعر)
يبغى رضاك بلهفة و أنين
صلى الإله على النبي و آله
ما دام يتلى مدحه في (نون)

** *** **

من أعلام التاريخ الإسلامي المعاصر في مصر:

الأستاذ أنور الجندي : كما عرفته

بقلم : الدكتور غريب جمعة
(عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية - القاهرة)

يرحم الله الأستاذ أنور الجندي ، فقد انتقل إلى جوار ربه في اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير من العام الحالي (عام/٢٠٠٢م) عن عمر يناهز السابعة والثمانين عاما بالتقويم الهجري ، قضى منها زهاء ستين عاما مع القلم ؛ فكانت ثمرة هذه الفترة عددا هائلا من الكتب والموسوعات ؛ التي نسأل الله أن يجعلها علما ينتفع به ، و أن يجعل ثوابها في صحائف حسناته .

والحقيقة أن الحديث عن الأستاذ أنور الجندي – ذلك العلم ؛ والكاتب الموسوعي – لا يتسع له مقال أو مقالات ، كيف وهو صاحب الموسوعات ، و لكن هذه الكلمة المتواضعة وفاء بشئ من حقه بعد أن عرفته لسنين طويلة .

لقد كنت أزوره في منزله المتواضع بحي الطالبية بمنطقة الهرم بمحافظة الجيزة ، وكانت المسافة من مسكني بشارع الملك فيصل إلى منزله تستغرق نصف ساعة سيرا على الأقدام قبل أن تزدحم المنطقة بهذه الصورة التي تجعلك تنظر خلفك ؛ وتنظر ذات اليمين ؛ وذات الشمال ؛ حتى لا تصطدم بشخص أو بسيارة ؛ فتسوء العاقبة .

جاء الرجل من قريته النخيلة بمحافظة أسيوط إلى القاهرة ليعمل في مصرف مالي ثم اجتذبته دعوة الأخوان المسلمين منذ البداية ، و قد لا يعرف البعض أنه كان المسئول عن خزينة الإخوان بحكم مؤهلاته في هذا

المجال ، وقد لا يعرف البعض أيضاً أنه كان يقوم بتسليم رواتب شهرية إلى أسر الضباط المحسوبين على الإخوان ، ثم تعرضوا للاعتقال أو الفصل من الجيش ، ومنهم من عرف له وللإخوان هذه اليد ؛ ومنهم من انقلب على وجهه وعض الأيدي التي امتدت إليه بالإحسان .

ولم يقف الرجل عند العمل المالي والإداري بل اتجه إلى القلم فكتب في موضوعات متعددة ، ثم اشتغل بالعمل الصحفي في جريدة "الجمهورية" ؛ وتوالى ظهور كتبه في الأسواق كتاباً إثر كتاب .

كانت أول زيارة للرجل عام ١٩٧٦م حينما حملت بعض الأمانات له من أستاذي الجليل الداعية المسلم السيد المهندس/محمد توفيق أحمد يرحمه الله ، وفرح الرجل فرحاً شديداً حينما علم أنني واحد من تلاميذ مدرسة البريد الإسلامي ؛ وطلب أن تتكرر الزيارة .

وتكررت الزيارة بالفعل ؛ وكان لي في كل زيارة – هدية منه إما في صورة مقال له في مجلة من مجلات العالم الإسلامي شرقاً وغرباً أو في صورة كتاب من كتبه واصفاً ذلك الكتاب بأنه "مولود جديد" ، وكنت أداعبه قائلاً : كم بلغ عدد مواليد حضرتكم الآن ؟

فكان يقول : لقد رزقني الله بابنة واحدة ؛ أما المواليد الآخرون ؛ فيحتاجون إلى قائمة ؛ لأنهم تجاوزوا المائتين ما بين رسالة ؛ وكتاب ؛ وموسوعة !

ولما سألته كيف استطاع أن يتجاوز هذا العدد من المواليد ؟

قال : الحمد لله على فضله وإحسانه – إنني أسير على نظام لا أحيد عنه أبداً حيث أنام بعد صلاة العشاء ؛ ثم استيقظ قبيل الفجر ؛ فأصلي ما شاء الله لي أن أصلي ؛ ثم اقرأ ما تيسر من القرآن ؛ ثم أبدأ في الكتابة حتى موعد الإفطار ، وهو متواضع ؛ كما تعرف .

قلت : ولكني لا أرى أوراقاً ؛ ولا كتباً ؛ ولا أقلاماً في هذه الغرفة

التي تكتب فيها ..

قال هي مخبأة تحت الكراسي ذات الكسوة ؛ حتى إذا زارني ضيف لا يشعر بمزاحمة الكتب له ، فإذا انتهت الزيارة أخرجها من مخبئها ؛ واستأنفت العمل وهكذا .

قلت : وأين مكتبتكم ؛ فأنا لا أرى شيئاً أمامي ؟ قال : ستراها بعد قليل إن شاء الله ، ثم اصطحبني إلى الطابق العلوي الذي تشغل المكتبة جميع غرفه ؛ وإذا بي أمام تلال من الكتب والمجلات والجرائد ؛ ثم تجولنا فيها ؛ فأحسست كأني أمام دار كتب مصغرة ، لذلك لم يكن الرجل بحاجة إلى مراجع من الخارج ، بل لقد كان مرجعاً وموجهاً لكثير من طلبة الماجستير والدكتوراه ، وقد رأيت بعضهم وهو يصحح له بنفسه .

كان الرجل في بيته مثالاً طيباً لرب الأسرة المسلم وللجد الشفوق اذكر أنني رأيته ذات مرة يمشي مع حفيدته ليشتري لها بعض الحلوى ؛ وهي – ببراءة الأطفال – تقفز يميناً وشمالاً ؛ و هو يركض خلفها ليمسك بها مخافة أن يصيبها أذى من المارة ، حتى إذا ما قالت : "خلاص ! ترجع البيت ؛ يا جدو !" أمسك يدها وعاداً معاً إلى البيت ، فقلت له : هكذا ينزل الفكر الإسلامي من عليائه ليحتضن الطفولة البريئة ؟ قال : وماذا تقول : لو عرفت أن الفكر الإسلامي يصنع أكثر من ذلك ؟ إنني أقوم بتدفئة المياه لها ؛ حتى لا تتأذى ببرودة الجو عندما تقضي حاجتها بالليل ؛ و أهل البيت نيام .

لقد كان يرحمه الله يحيا حياة متواضعة في مأكله وملبسه ؛ لم يكن يحيا حياة المترفين الذين أبطرهم النعمة وأسكرهم نشوة الغني ؛ فاستكبروا على الناس ، وأستأذن القارئ الكريم في ذكر طرفتين – ولا أقول حادثتين – ليرى كيف يعيش معظم أصحاب الفكر و رواد القلم ؛ و كأن القائل يعنيهم ؛ حينما قال :

هجرت دنياك ولم تشهد مباذلها
و لم تعرج على صحب ولا آل
و لم تصعد أمانيا إلى شجر
مد الظلال على طين وأوحال

الطرفة الأولى :

أذكر أنني رأيته يقف على رصيف شارع حسين حجازي المتفرع من شارع قصر العيني بالقاهرة ؛ والمؤدي إلى مكتبة "الاعتصام" رد الله غربتها ؛ ومعها مجلة "الدعوة" رأيته يقف ويمضغ شيئا ؛ فلما سلمت عليه ، قال : تفضل ... وشاركني هذا الطعام وإذا بالطعام عبارة عن قطعة من البطاطا ؛ كما نسميها في مصر أو البطلطس الحلوة ؛ كما يسميها بعض دول الخليج .!

قلت : سبحان الله ؛ هل هذا فطورك ؛ وأنت على بعد أمتار من المكتبة التي تباع فيها كتبك ، والناس يمرون من أمامك ؛ ولا يدرون أنك صاحب هذه الكتب .

قال : الحمد لله ... ألستم معشر الأطباء تقولون : إن الإنسان يحتاج إلى كذا من السعرات الحرارية ... وكم يلزم شيخ مثلي ؟ إن أقل الطعام يكفيني .

أما الثانية :

لقد دعاه الأستاذ الدكتور/عبد الله شحاته ؛ لإلقاء محاضرة في كلية دار العلوم حينما كانت في مقرها القديم ، واصطحبه صاحب هذه السطور ؛ وبينما كنا ننتظر الأوتوبيس لاحظ – يرحمه الله – أنني أنظر إلى قدميه ، وابتسم ؛ فسألني لماذا تبتسم ؛ فقلت : من فضلك ، أنظر إلى حذائك ؛ فإن رباط القدم اليمني يختلف عن اليسرى ، فقال : لم انتبه إلى ذلك ، وأحمد الله أن جمهور الحاضرين سيحكم على من خلال ما أقول ؛ و وصلنا إلى الكلية ؛

وافتتح الرجل المحاضرة هادئا ؛ ثم تدفق بعد ذلك كالسيل الجارف بصورة أدهشت الأساتذة قبل الطلاب ؛ ثم جاء دور الأسئلة ، ولقد جمعت إجابته عنها بين الصدق والصراحة والإقناع ، وانتهت المحاضرة ، و وقف الأستاذ الدكتور عبد الله شحاته للتعقيب ؛ وكان مما قاله يومئذ :

"إنني أحيي ؛ وأقدر هذه الموسوعة العلمية المتحركة على الأرض ؛ والتي تسمى أنور الجندي على تواضع جم ؛ وأدب عال ... إلخ" .

لقد ضرب الرجل بسهم وافر في مجالات متعددة ، فقد واجه حملة التغريب الشرسة والاستشراق والتنصير ؛ الذي يطلق عليه التبشير والدعوات الهدامة كالشعوبية ؛ والغنوصية ؛ والإلحادية وغيرها ... إلى جانب دراسته الأدبية والتاريخية .

وحينما أصدر كتابه عن طه حسين ، أصاب بعض الكتاب المقيم المقعد ؛ فشنوا عليه حملة شعواء حتى وصفه أحدهم بقوله :

أنور الجندي كاتب أرشيفي لا تصلح مؤلفاته إلا للاستعمال في دورات المياه ، ولما زرته – كالمعتاد – ؛ وسألته : هل قرأت ما كتبه فلان عنك ؟

قال : نعم .

قلت : وما رأيك ؟

قال : ليقل عني وليصفني بما شاء فهذا شأنه ، و هو مسئول أمام الله ؛ وأمام الناس ؛ وأمام التاريخ عما يكتب ، وأنا أتوقع أكثر من ذلك طالما تعرضت للكتابة عن طه حسين بالطريقة التي لا ترضي تلاميذه .

قلت : هل سترد عليه ؟ قال : نعم ؛ ولكن ليس بالهبوط إلى مستوى دورات المياه .

وقد قام بالرد على هذا الكاتب بأسلوب يجمع بين العفة ودحض الحجج ؛ بل نسفها بمنطق يفرض احترامه حتى على الخصوم قبل المحبين .

ومضى على ذلك وقت ليس بالقصير ؛ ثم زرته كالمعتاد ؛ ومن المصادفات العجيبة أن يدق جرس الهاتف ... فلما رد عليه قال : تدري من المتحدث ؟ قلت : الله أعلم ، قال : إنه فلان ... الكاتب الذي وصفني بكذا وكذا ... و هو يطلب مني أن أكتب لمجلته ؛ ولما سأله ؛ ولماذا وصفتني بما وصفتني ؟ قال أردت أن أفتعل معركة لتنشيط الفكر ولشحذ هم الكتاب للكتابة والرد عليها ، فكان رده عليه – يرحمه الله – أن تنشيط الفكر يكون بالإنصاف ... واعتذر عن الكتابة .

حقيقة إن الذكريات عن الأستاذ أنور الجندي كثيرة ؛ ولولا أن في سردها حديثا عن النفس لكانت أكثر من ذلك .

فقد اصطحبته في زيارته للأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي – أمد الله في عمره ونفع بعلمه – وللأديبين السعوديين الكبيرين الأستاذ/محمد سعيد العامودي ، والأستاذ/عبد القدوس الأنصاري يرحمهما الله ؛ ولست أنسى أدب سعادة الشيخ العامودي وتقديره لبعض مقالاتي المتواضعة ؛ وكانت عن الشيوعية في ذلك الوقت ... لقد وضع الرجل المقالات على رأسه حين تسلمها ونشرها بمجلة رابطة العالم الإسلامي حيث كان رئيس تحريرها ، وكذلك إلى ندوة الأستاذ/أحمد عطية ؛ صاحب القاموس الإسلامي في منزله بالمعادي ... وغيرهم .

رحم الله ذلك الكاتب الموسوعي ... وجعل مؤلفاته ودائع شكر في الدنيا ؛ وذخائر أجر في الآخرة ... إن شاء الله

* * *

محب الدين الخطيب
وخدماته في الصحافة

بقلم : الدكتور محمد طارق القاسمي الأعظمي
(قسم اللغة العربية وآدابها ؛ جامعة عليكره الإسلامية - عليكره - الهند)

كان محب الدين الخطيب رائدا من رواد الصحافة مع هـذا ؛ إنه كان محققا وباحثا ومؤرخا ومترجما ؛ لأنه كان يجيد اللغات التركية و الفارسية والفرنسية ؛ ويقدر على الترجمة ، ونجح في الصحافة بعلمه باللغات الشتي ؛ وقدرته على الترجمة ؛ ونال الشهرة ؛ حينما اشترك في تحرير "المؤيد" عام ١٩٠٩م ؛ ورد على حملة الاستعمار الذي يهاجم الإسلام ، وهكذا دخل في صف الصحافة والسياسة الفكرية ؛ وحينما قامت "الثورة العربية" الكبرى ؛ التحق بها محب الدين الخطيب ؛ وأشرف على تحرير جريدة "القبلة" التي كان يصدرها الشريف حسين ؛ فلما انتهت الحرب العالمية الأولى ؛ دخل دمشق ؛ وتولى إدارة جريدتها "العاصمة" سنة ١٩١٨م ؛ وجريدة العاصمة من أهم الصحف التي صدرت في دمشق ، هكذا حصل على تجربة واسعة في الصحافة ؛ وأخيرا حينما استقر في مصر التحق بجريدة "الأهرام" سنة ١٩٢٠م ؛ وهذه الجريدة من أقدم الصحف المصرية السياسية وإليها يرجع الفضل في تقدم الصحافة المصرية السياسية في أخذ الجديد من صحافة الغرب ، وأصدر "الزهراء" ؛ و "الفتح" ؛ وتولى تحرير مجلة "الأزهر" التي كانت مجلة شهرية إسلامية ؛ تصدر من الأزهر بالقاهرة ، ست سنوات من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٨م ؛ ونلقى على المجلات العلمية والأدبية والمجلات الدينية التي عمل فيها نظرة عابرة .

١- المؤيد : مجلة شهرية عمل فيها محررا من سنة ١٩٠٩م إلى ١٩١٢م.

٢- القبلة : مجلة شهرية رسمية ؛ صدرت من مكة عمل محررا فيها من ١٩١٦م إلى ١٩١٨م .

٣- العاصمة : مجلة شهرية ؛ صدرت من دمشق ، تولى إدارتها من سنة ١٩١٨م إلى ١٩١٩م .

٤- الفيصل : أخبار رسمية ؛ صدرت من دمشق عمل محررا فيها .

٥- الأهرام : تصدر من مصر عمل محررا فيها من سنة ١٩٢٠م إلى ١٩٢٥م .

٦- الزهراء : مجلة شهرية أصدرها من القاهرة من سنة ١٩٢٤م إلى ١٩٣٠م .

٧- الفتح : مجلة أسبوعية ؛ أصدرها من القاهرة من ١٠/مايو ١٩٢٦م إلى ١٩٥١م .

٨- الأزهر : مجلة شهرية ؛ تصدر من القاهرة ؛ تولى رئاسة تحريرها ست سنوات من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٨م .

٩- المسلمون : مجلة شهرية ؛ تصدر من القاهرة ؛ تولى إدارتها .

و الآن نلقي الضوء على "الزهراء" ؛ و "الفتح" لأن لهما أثرا بالغا في تطور المقالة الدينية .

الزهراء : أصدر من القاهرة سنة ١٩٢٤م هذه المجلة التي استمرت إلى سنة ١٩٣٠م ؛ وسارت على المنهج الذي شقته "العروة الوثقى" ؛ و "المنار" ؛ وحملت دعوة المحافظة على الأمجاد الإسلامية العربية ، ومقاومة الاستعمار والاستبداد على نفس الطريق الذي سار عليه السيد جمال الدين الأفغاني ؛ وعبد الرحمن الكواكبي .

وقد كانت موضوعات المجلة تمثل اتجاهها الواضح في إنشاء فكر

عربي إسلامي ؛ يقاوم التيارات التي كانت تواجه الأمة العربية في هذه الفترة ، وكتب الدكتور شكري فيصل مقارناً بين مجلتي : "الأزهر" و "الزهراء" ؛ يقول :

"و "مجلة الأزهر" ؛ كذلك ليست مجلة أدبية ؛ وقد تكون تناولت الحياة الاجتماعية ؛ وقد تكون وقفت بعض صفحاتها على الحياة الأدبية ؛ أو النقد اللغوي ، ولكن لها طابعاً خاصاً يميزها .. إنها يمكن أن تدرج في نطاق المجلات الدينية ؛ ولكن مجلة "الزهراء" التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب ؛ مجلة أدبية لا شك في ذلك" (١) .

الفتح : أصدر محب الدين الخطيب ؛ هذه المجلة الأسبوعية الإسلامية في ١٠/مايو ١٩٢٦م ؛ واستمرت في الصدور ربع قرن إلى ١٩٥١م ؛ وتركت حصيلة فخمة من الثقافة والفكر ما تزال مورداً للباحثين ، وظلت الفتح أبرز الصحف الدينية ؛ وأبعدها أثراً في العالم الإسلامي ، وقد حاول السيد محب الدين الخطيب أن يصور هدف هذه المجلة ؛ ويبين الفكرة الداعية إلى إصدارها ؛ كما كتب في العدد الأول من السنة التاسعة (١٣٥٣هـ) ؛ ويقول :

"إن الفتح أنشئت لمماشاة الحركة الإسلامية ؛ وتسجيل أطوارها ؛ ولسد الحاجة إلى حاد يترنم بحقائق الإسلام مستهدفاً بتثقيب النشء الإسلامي ، وصبغه بصبغة إسلامية أصيلة يظهر أثرها في عقائد الشباب وأخلاقهم وتصرفاتهم ، وحماية الميراث التاريخي الذي وصلت أمانته إلى هذا

(١) الصحافة الأدبية للدكتور شكري : ص/٤٠ ، جامعة الدول العربية ؛ القاهرة ؛ سنة ١٩٦٠م .

الجيل من الأجيال الإسلامية التي تقدمته" (٢) .

وقال الأستاذ أحمد زياد عن هذه الصحيفة : "لقد وضع الشيخ محب الدين الخطيب ؛ صحيفة "الفتح" تحت تصرف الحركة السلفية منذ أول وهلة ، وسرعان ما أصبحت صلة وصل فيما بين الدعوة الإصلاحية من المشرق إلى المغرب ؛ ومن المغرب إلى المشرق" (٣) ؛ فبهذه المجلة جهاد الخطيب امتد إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي .

وقد واجهت الفتح قضايا التغريب والإلحاد ، وحملت على كل الفرق من الطوائف المضللة ؛ والمذاهب المنحرفة ؛ ولم تترك الفتح كلمة تنشر في الصحف المصرية أو العالم الإسلامي فيها اتهام للإسلام دون أن ترد عليها ، ممن كتب فيها شكيب أرسلان الذي كان يكتب في كل أسبوع تقريبا من جنيف مستعرضا كل ما يكتب عن الإسلام في أوربا ، وسليمان الندوي ؛ و شبلي النعماني ؛ و مسعود عالم الندوي من الهند ، و محمد تقي الدين الهلالي ؛ وعمر الدسوقي ، ومن الغرب أحمد بلا فريج ، ومن القوقاز عبد الرشيد إبراهيم تلميذ جمال الدين ؛ والدكتور مصطفى السباعي (دمشق) وغيرهم .

فالفتح كانت مدرسة كبرى تعني بتربية المسلم عناية خاصة ، ومعالجة قضايا المسلمين و تفتح آفاقا جديدة من الوعي الإسلامي ؛ و الفكر

(٢) مفكرون وأدباء - لأنور الجندي ؛ الطبعة الأولى ؛ دار الإرشاد - بيروت : ص/١٩٥ ، وأيضا الجامعة الإسلامية ؛ المدينة المنورة ؛ محرم الحرام ١٣٩٠هـ : ص/١٤٤ .

(٣) دعوة الحق الرباط ؛ المغرب (العدد الخامس والسادس) ؛ السنة الثالثة عشرة ؛ مايو/١٩٧٠م : ص/١٢٤ .

السياسي النير ؛ وكتب الطاهر أحمد الزاوي عن "الفتح" ؛ وجهادها في سبيل طرابلس الغرب ؛ وأن صاحبها يدعو فيها الأمة الإسلامية إلى معاونة الطرابلسيين ؛ والوقوف إلى جانبهم في سبيل السيادة الإسلامية ؛ وفي الدفاع عن الإسلام ؛ فيقول :

"وكانت الفتح ؛ وما تزال مثال الصدق والنزاهة في الدفاع ، فهي لا تحمل إلى قرائها إلا أصدق الأخبار وأبعدها عن الريبة .

ولو ذهبت أعد مزايا "الفتح" في انتصارها للحق ؛ وذويه ودفاعها عن أهل القبلة ؛ وشعوب العروبة لما وسعني ذلك ...

ولقد مضت الفتح قدما في خدمة القضية الطرابلسية في ذلك النفر الذين وجدوا في ميدانها متسعا للركض وراء عزة الإسلام والمسلمين ؛ وكان صاحب الفتح يسمح بكل نفس طيبة بكتابة المقالات الفياضة من طرابلس الغرب ؛ ونشر الاحتجاجات على أعمال المتسعمرين فيها لا يرجو من وراء ذلك إلا نصرة هذه الأمة الضعيفة ؛ وتقديم المساعدة لهذا الشعب الذي تربطه به وشائج اللغة ؛ وروابط الدين" (٤) ، ولكنه اضطر على إيقافها بعد ربع قرن من صدورها ؛ وقال : "وأوقفتها حينما أصبح حامل المصحف في هذا البلد مجرما يفتش ويعاقب" (٥) .

(٤) الفتح - القاهرة ؛ ٨/ربيع الأول ١٣٥٨هـ : ص/٣٠-٣١ .

(٥) الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ؛ محرم الحرام ١٣٩٠هـ : ص/١٤٤ .

أوربا المنهوكة وأمريكا الطائشة

الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي

نشرت مجلة إنجليزية عالمية في أحد أعدادها الأخيرة على غلافها صورة كاريكاتورية موحية ؛ تحمل معاني كثيرة ؛ والصورة الكاريكاتورية تختلف عن الصور الفوتوغرافية في الإيحاء ، وتحمل مضمون مقال كامل ؛ وتشير هذه الصورة إلى واقع العالم المعاصر ، والوضع السياسي السائد ، وموقف الدول الكبرى التي لعبت أدوارها في الماضي ؛ والدول التي تلعب دورها في العالم اليوم .

يظهر في الصورة الكاريكاتورية رجل عجوز مقوس الظهر ، متكئ على عكازة معوجة ، تظهر تجاعيد وجهه ، وتلوح عليه آثار الضعف الشديد ؛ وهو في غاية من النقاهة ، يتعذر عليه المشي ، يبدو كأنه يسقط بأدنى هزة ، وتتوكؤ على هذا العجوز المتساقط فتاة فارعة القامة ؛ ناضرة الوجه ذات الشعر الذهبي المنتشر ، ولكنها منتفخة البطن غاية الانتفاخ ، كأنه بالون كبير ، ويشير عنوان الصورة إلى أن هذا الرجل العجوز هو أوربا ، والفتاة هي أمريكا ، ويمكن للقارئ أن يستنبط من هذه الصورة ما يشاء حسب ثقافته واتجاه فكره ، و موقفه إزاء الأحداث في العالم ؛ أما المجلة فهي في مقالها توضح الوضع الحاضر بأن هناك قوة ساقطة ؛ وقوة أخرى صاعدة ، فأوربا لها عهد غابر ، سيطرت فيه على العالم ، كانت كثير من الدول المعاصرة الكبرى خاضعة لسيطرتها ، تملى عليها إرادتها ، وتكتب لها تاريخها الجديد ، هذه فرنسا ، و هذه البرتغال ، وهذه هي إيطاليا

واليونان ، وبريطانيا وهولندا ؛ التي سيطرت على أجزاء كبرى من العالم ، غيّرت من ثقافتها ، ولغاتها ، وغيّرت خريطة العالم في عهدها ، وأخيراً الاتحاد السوفيتي الذي سيطر على نصف العالم ، وكان يعتبر عالماً مستقلاً بذاته ، يخوّف أوربا الغربية وأمريكا رغم تحالفهما ، ثم انغمست هذه الدول في الحروب ، فأنهكت هذه الحروب هذه الدول الكبرى ، واستنزفت طاقاتها ، و وصلت بعض الدول إلى حالة الانهيار الكاملة .

لقد كانت الدول الأوربية تصف تركيا في عهد الخلافة العثمانية الأخير بأنها رجل أوربا المريض ، ولكن أوربا بكاملها هي بمثابة الرجل المريض اليوم ؛ أو كما يكون الرجل في آخر عمره ، منهوك البال ، عالة على غيره ، وهذه هي سنة الله ، فإن الأمم كالإنسان تمر بمراحل الحياة المختلفة ، الطفولة ، الشباب ، والشيخوخة ، وقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع مختلفة إلى أمم وشعوب ؛ كانت لها الغلبة ، وملكتها الكبرياء والغطرسة ؛ فقهرت الأمم وخذلت الشعوب ؛ واستعبدت بني جلدتها ، ثم أخذها الله ؛ فغابت وامحى أثرها وصعدت أمم أخرى ؛ ثم كان مصيرها مصير الأمم الغابرة : ﴿ و كم أهلكنا قبلهم من قرن * هل تحسّ منهم من أحد * أو تسمع لهم ركزاً ﴾ [سورة مريم/٩٨] .

أما الجانب الآخر للصورة ؛ الذي يتعلق بالفتاة الشابة ؛ فهو يحمل أيضاً معاني كثيرة : أولاً : اعتماد أمريكا على أوربا ومحاولتها لاستغلال ضعفها وحاجتها إلى دعمها المادي .

وتسخيرها لخدمة أغراضها ؛ كما يبدو الهوس الزائد للغلبة والظهور الذي يظهر من البطن المنتفخ للفتاة في الصورة .

وهذا الهوس للغلبة ؛ والأنانية ؛ يظهر من جميع تصرفات الحكومة الأمريكية المعاصرة ، ولا يظهر الهوس المجرد ؛ بل يظهر كذلك ، حب تحقيق هذا الهوس في عجلة بدون مبالاة الأعراف والمواثيق الإنسانية المقررة التي كانت أمريكا نفسها تحافظ عليها ؛ وتدعو إليها ؛ حتى الأمم المتحدة ، فقد

هددت أمريكا بأنها إذا لم تصادق على أغراضها ، فإن مصيرها سيكون مصير عصبة الأمم المتحدة السابقة .

ففي هذه السياسة الطائشة تعارض أمريكا سياسة أمجادها وقادتها السابقين ؛ الذين كانوا جعلوا هدفهم إغاثة الملهوف ؛ وقد لعبت أمريكا دور المنقذ في كثير من المناسبات في السابق ، وساعدت الأمم المستضعفة .

و الدرس الثاني الذي يستفاد من هذه الصورة أن كل صاعد له نهاية ؛ ولكن بعض التصرفات تؤدي إلى هبوط عاجل أو تعجّل التساقط .

فإن الحروب التي انغمست فيها أوربا هي التي أوصلتها إلى ذلك الانهيار الاقتصادي ؛ وزوال الهيبة السياسية ، وقد ذكرت بعض الوثائق أن بعض الدول الأوربية كانت بعد الحرب العالمية الثانية في حالة احتضار شديد ، وهذه هي العبرة المستفادة من الصورة الكاريكاتورية ، فإن الحروب التي أصبحت الشغل الشاغل ؛ والهمّ الغالب لقادة أمريكا اليوم ؛ قد تعجل من اتجاه أمريكا إلى ذلك المصير الذي وصلت إليه أوربا ، وحديث الحروب ليس بأمر غريب لأمريكا ولا لأوربا ؛ كما قال شاعر عربي :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
و ما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
و تضر إذا ضريتموها فتضرم

والمعنى الأخير أن أوربا رغم ضعفها واستكانتها ، تحل خبرة وتجربة ، والخبرة تمنح الإنسان حكمة وتدبراً وعقلاً ، وقد كسبت أوربا من تاريخ استعمارها ؛ وقهرها للشعوب ، وانغماسها في الحروب ، تجربة تستطيع أن تنقذ غيرها ممن غلبه حُبّ المغامرة ، والتهور ، من الوقوع في تلك التجربة القاسية الفاشلة لقهر الشعوب وإذلالها ، ومحاربة كل ما يتفق معه في السياسية ؛ وفي العقيدة .

* * *

إحياء إجتماعية وثقافية :

البيان الختامي وتوصيات المؤتمر السادس للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

بقلم : الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح
(رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس تحرير مجلة : "الأدب الإسلامي")

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على رسولنا محمد ، و من تبعه بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فقد عقدت الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية مؤتمرها السادس في مدينة "القاهرة" في المدة من ٦-٩/جمادى الثانية ١٤٢٣هـ - الموافق ١٥-١٨/آب (أغسطس ٢٠٠٢م) لمناقشة قضايا الرابطة ومسيرتها في السنوات الثلاث الماضية ، وعقدت ندوة تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامي ، وتوصل أعضاء الهيئة العامة للرابطة إلى التوصيات التالية :

أولا : إنشاء مكتبات متخصصة في الأدب الإسلامي في كل مكتب إقليمي ؛ وتزويدها بإصدارات الرابطة ومجلاتها .

ثانيا : تنمية العضوية في الرابطة باستقطاب الأدباء الذين تتوافر فيهم صفات العضوية .

ثالثا : إقامة علاقات مفيدة مع الروابط ؛ واتحادات الكتاب ؛ والجمعيات ؛ والأندية الأدبية في البلاد العربية والإسلامية .

رابعا : تعزيز النشاط الإعلامي للرابطة في جميع مكاتبها الرئيسية والإقليمية ؛ وتقوية الاتصال بوسائل الإعلام ؛ وإبراز النشاطات الأدبية لأعضاء الرابطة ؛ وتزويدها بأخبار الرابطة .

خامسا : التعاون بين المكاتب الإقليمية بدعوة الأدباء في كل منها للقيام بنشاط أدبي في مكتب إقليمي آخر .

سادسا : توسيع النشاطات الأدبية في المكاتب الإقليمية لتشمل المحافظات ؛ والأقاليم في أنحاء القطر الذي يوجد فيه المكتب .

سابعا : إقامة معرض لمؤلفات أعضاء الرابطة في الأدب والنقد في كل دورة تعقدها الهيئة العامة .

ثامناً : تذكير أعضاء الرابطة بزيارة مكاتب الرابطة الموجودة في البلاد التي يسافرون إليها .

تاسعاً : أن يشارك مكتب البلاد العربية بممثلين من المكاتب الإقليمية من الأدباء الشباب في الملتقى الصيفي للأدباء الشباب الذي يعقد في المملكة المغربية كل سنة .

عاشراً : توزيع مجلة الرابطة في أوسع نطاق ممكن ؛ ومتابعة شركات التوزيع لضمان وصولها إلى كافة المنافذ المطلوبة .

حادي عشر : تحديث موقع الرابطة على شبكة الإنترنت العالمية دورياً؛ وفي فترات متقاربة ؛ وتخصيص فقرة لأسماء أعضاء الرابطة وعناوينهم وصفحة لكل مكتب إقليمي لإبراز نشاطاته فيها .

ثاني عشر : رصد جميع الإصدارات المتعلقة بالأدب الإسلامي في كافة المكاتب الإقليمية والمناطق التي تتبعها تمهيداً لإصدار الدليل الشامل لمكتبة الأدب الإسلامي .

ثالث عشر : عقد ندوة بإشراف مكتب البلاد العربية عن الإسهامات الأدبية الإسلامية في قضايا الأمة شعراً ونثراً .

رابع عشر : استقطاب الأدباء المهتمين بأدب الأطفال تنظيراً وإبداعاً .

خامس عشر : إقامة ندوات عن الأدب الإسلامي في ماليزيا والباكستان ، وفي البلاد التي ليس فيها مكاتب للرابطة .

سادس عشر : العناية بالفن المسرحي نصاً ؛ وأداء في إطار الضوابط الشرعية .

سابع عشر : إقامة مسابقات أدبية لإبداعات الأدباء اليافعين لاكتشاف مواهبهم واستقطاب أصحابها .

ثامن عشر : إصدار نشرة إخبارية دورية في كل مكتب إقليمي تتضمن أخبار الرابطة وأنشطة أعضائها .

تاسع عشر : التعريف بإصدارات الأدباء الإسلاميين في كافة وسائل الإعلام المتاحة .

عشرون : الاهتمام بفنون الأدب وقضاياه المعاصرة في الندوات التي ترافق مؤتمرات الهيئة العامة ، وتجاوز القضايا التي سبق طرحها ما لم يجد فيه جديد.

واحد وعشرون : الاهتمام بوسائل النشر الإلكترونية الحديثة ، وتقديم نماذج من الأدب الإسلامي من خلاله مثل الأسطوانات المدمجة ؛ والأشرطة المسموعة والمرئية ؛ وشبكة الإنترنت العالمية .

هذا ؛ وإن أعضاء الهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ليعبرون عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني في محنته ؛ ويكبرون جهاده وصموده في وجه الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لاستعادة حقوقه المشروعة على أرض الإسراء ، ويدينون الممارسات الوحشية للاحتلال ، ويدعون الأدباء كافة لإبراز هذه القضية ومناصرتها في أعمالهم الإبداعية ، كما أن أعضاء الرابطة يتقدمون بالشكر والثناء لجمعية رابطة الأدب الإسلامي في مصر لاستضافتها المؤتمر السادس للهيئة العامة للرابطة ، وبذلها الجهود الكبيرة لإنجاحه. والله ولي التوفيق.

صدر في القاهرة في التاسع من شهر جمادى الآخرة عام ١٤٢٣هـ
الموافق للثامن عشر من شهر أغسطس عام ٢٠٠٢م

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

تعقد مؤتمرها السادس في القاهرة

وقدم بهذه المناسبة في مجلس الأمناء فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية ، تقريره ، استعرض فيه أعمال المكتب الرئيسي لشبه القارة الهندية للرابطة ونشاطاته ؛ وما قام به من ندوات ومؤتمرات في السنوات الثلاث الماضية ، وما أصدر فيها من كتب ومؤلفات أدبية وشعرية ، ونلخص فيما يلي ما جاء في تقرير فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ؛ فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيد الأنبياء و إمام المرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فإني أبدى أولا سروري على أن الدورة الحالية لمجلس أمناء رابطة الأدب

الإسلامي العالمية ؛ تعقد في مدينة القاهرة مرة ثانية ، هذه المدينة الجليلة التي لعبت دورا بارزا في تاريخها الإسلامي المديد للحضارة والعلم ، كما أنها مدينة المساجد والجوامع الجليلة ، وخاصة جامع الأزهر الشريف الذي دام منارة للعلم والدعوة ، ومركزا لتخريج قادة للفكر والعلم ممن رفعوا مكانة هذا القطر الإسلامي العظيم من بين أشقائه ، ونصروا الحق والدين ، وخدموا الأمة الإسلامية .

وبعد ؛ فنحمد الله تعالى على توفيقه لنا نحن المنتسبين إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية لبذل ما يتيسر لنا من جهود في أداء واجبنا نحو الأدب الإسلامي بدعمه وإيضاحه ونشره في مجالات تتمكن رابطتنا من العمل فيها عن طريق كل مكتب من مكاتبها ؛ رئيسية كانت أو إقليمية ، فقد قطعت الرابطة بذلك مسافة لا بأس بها في مضمار عملها .

وأضاف قائلا : إن مكتب شبه القارة الهندية الرئيسي عقد ثلاث ندوات علمية سنوية في المدة السابقة ، كانت الندوة الأولى من هذه الندوات الثلاث ؛ حول موضوع : "أدب القصة" ؛ وكانت انعقدت في ٢٦-٢٨/فبراير ١٩٩٩م في دار العلوم سبيل الرشاد بمدينة بنغلور ، وكانت آخر ندوة انعقدت تحت رئاسة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ؛ الرئيس السابق للرابطة ، فقد وافاه الأجل في آخر يوم من العام المذكور ١٩٩٩م ، وقد بلغ عدد البحوث التي وصلت إلى مكتب الرابطة ٥١/بحثا ، إلا أن الوقت لم يتسع إلا لأربعين منها ، وكانت أربعة بحوث منها بالعربية ، وبحث بالإنجليزية ، و٣٥/بحثا باللغة الأردية ، وبلغ عدد المندوبين ١٠٠/مندوب .

أما الندوة الثانية فكانت انعقدت ؛ حول موضوع : "أدب الأطفال ؛ وخدمات سماحة العلامة الندوي الراحل في هذا المجال" ، وذلك في الفترة ما بين ٨-١٠/من أكتوبر ٢٠٠٠م في الجامعة الإسلامية بباتكل جنوبي الهند على دعوة فرع الرابطة في باتكل وتعاونه ، وكانت هذه أول ندوة عقدت بعد وفاة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ؛ وكانت الندوة ناجحة وموفقة كما وكيفا ، فقد حضرها أكثر ما مائة مندوب من أنحاء الهند المختلفة ؛ كما حضرها بعض المندوبين من إمارات الخليج وغيرها كذلك ، وقدمت فيها أكثر من ثلاثين بحثا في جلساتها المختلفة للبحوث ، كانت أربعة

بحوث منها في العربية ، وبحث في الإنجليزية ، والبقية في الأردية .

أما الندوة العلمية الثالثة الأخيرة منها الذي كان قد تقرر عقدها في مدينة "رانتشي" من ولاية "جهاركهند" ؛ حول أعلام الأدب الإسلامي ، فقد عقدت أخيرا في ندوة العلماء لكناؤ بتاريخ ٢٠-٢١/يوليو ٢٠٠٢م ؛ وذلك لأسباب ألجأت إلى تحويل مكانها من رانتشي إلى لكناؤ .

انعقدت الندوة في قاعة مكتبة العلامة شبلي النعماني الفسيحة ؛ الواقعة في "ندوة العلماء" ، حضرها عدد كبير من أساتذة الجامعات الحكومية ؛ والمدارس الدينية ، والمراكز العلمية من نواحي البلاد المختلفة ؛ كما حضرها أدباء وشعراء وباحثون ، وقدموا بحوثا حول محاور الموضوع ، وألقوا الضوء على أعلام الأدب الإسلامي في اللغة العربية والأردية والفارسية ، وذكروا ما أثروا به المكتبة الإسلامية من كتب ودراسات ، وما قاموا به من مآثر وخدمات في مجال الأدب الإسلامي ، وقد بلغ عدد المندوبين والمشتركين في الندوة إلى أكثر من مائة مندوب ، أما البحوث والمقالات ؛ فقد بلغ عددها نحو خمسين بحثا ، كانت ستة منها في اللغة العربية ، والباقية كانت في الأردية ؛ إلا أن الوقت لم يتسع إلا لثلاثين منها.

هذا استعراض سريع لما سعى به مكتب شبه القارة الرئيسي في إقليم الهند وخارجه ، ندعو الله تعالى أن يوفقنا ويتقبل منا ، وهو ولي التوفيق والقبول .

وجرت مداولات المؤتمر والندوة العلمية لمدة أربعة أيام ، عقدت في آخرها أمسية شعرية ألقى فيها أعضاء الرابطة الشعراء قصائدهم .

كما نظمت جولة على باخرة في النيل كانت نزهة وجلسة شعرية في نفس الوقت .

وانتهى المؤتمر على إصدار توصيات وقرارات بدعاء فضيلة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي .

* * *

والحمد لله أولا وآخرا

وصلى الله على نبيه الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

العلاقات السعودية الأمريكية وقضية فلسطين

تعريب من الإنجليزية :
بقلم : الأستاذ إقبال أحمد الندوي

جدة - ٢٧/أغسطس ٢٠٠٢م :

تلقى صاحب السمو الملكي عبد الله بن عبد العزيز ، ولي العهد للمملكة العربية السعودية ، حواراً هاتفياً من فخامة الرئيس جورج دبليو بوش ؛ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، أشاد فيه الرئيس بالصلات التاريخية المتينة العريقة ، القائمة بين الولايات المتحدة الأمريكية ؛ والمملكة العربية السعودية .

عبر الحوار ذكر فخامة الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية عما يقال ويذاع في هذه الأيام عن وضع الصلة فيما بين الدولتين الصديقتين بأنه أمر لا يقوم على أساس ؛ ويقال من غير شعور بالمسئولية ، ولا يمكن أن يغير ذلك شيئاً من قوة وصلابة هذه الصلة ، وأضاف قائلاً : إن أمثال هذه الأقاويل لا تعبر إلا عن آراء أصحابها ، ولا تستطيع أن تزحزح تلك الصداقة الدائمة التي توجد بين الدولتين أو أن تذهب بالتعاون الذي وُجد فيما بينهما في العقود الماضية ، و خاصة بالتعاون والتناسق الحالي في مواجهة الأوضاع الراهنة .

وأكد فخامة الرئيس أيضاً على أن حكومته تستمر في مساعيها التي تبذلها في تحقيق الأمن والسلام والاستقرار والهدوء في الشرق الأوسط ،

وأعاد موقفه من تأسيس دولة فلسطينية حرة ، وأكد على أن هذه القضية من أولويات السياسة الأمريكية لا للسلام المحلي فقط ، بل لأجل أن الولايات المتحدة تؤمن بأن مصلحتها تفرض عليها أن تلعب هذا الدور المهم الحاسم ، وعبّر الرئيس عن تقديره لتعاون المملكة العربية السعودية في هذا الصدد ، وأبدى رجاءه نحو استمرارية هذا التعاون والتمسك به .

و رداً على كلمة الرئيس ، أبدى صاحب السمو الملكي عبد الله بن عبد العزيز ؛ ولي العهد تقديره العميق لما يضمره فخامة الرئيس في قلبه من مشاعر كريمة ؛ وشعور بمسئوليته ؛ نحو الأمن والسلام ، وأكد على تقوية الصلات فيما بين الدولتين الصديقتين .

وقال صاحب السمو الملكي عبد الله لفخامة رئيس الولايات المتحدة أيضاً : إنه هو والشعب السعودي بأسره مصابون بقلق واضطراب بالغين لما يعانيه الشعب الفلسطيني البريئ من مأساة ومجزرة تحت الاحتلال الإسرائيلي ، كما قال : إن أي حل من الحلول لقضية الشرق الأوسط لابد أن يكون وفقاً للقواعد والمبادئ التي يقتضيها العدل والإنصاف ، وفي ضوء قرارات هيئة الأمم المتحدة ، وأضاف قائلاً : إن الدول العربية قد بذلت قصارى جهودها مشكورة لاستقرار الأمن والهدوء ، كخطوة تمهيدية إلى توفير الأمن والسلام للعرب كلهم ، وسوف تؤدي هذه المساعي إلى نيل الهدف المنشود إذا وجدت دعماً وتجاوباً من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .

*****

١- جامعة رياض الصالحات - في بلرامفور

قلم التحرير (س.أ.)

في ١٤/من شهر رجب ٢٣هـ الموافق ٢٢/من شهر سبتمبر ٢٠٠٢م ؛ عقدت جامعة رياض الصالحات في "دينة ناغر" ؛ بمديرية بلرامفور ؛ بولاية أترابراديش الهند ؛ مؤتمرا تعليميا بمناسبة افتتاح قاعة المحاضرات للطالبات المسلمات ؛ باسم : "قاعة السيدة رقية" ؛ حضر المناسبة عدد كبير من جماهير المنطقة رجالا ونساء ، للاستماع إلى خطابات حضرات العلماء الذين شرفوا المؤتمر بحضورهم .

و قد تم إرساء الحجر الأساسي لمبنى مكتبة الخنساء العامة بيد كاتب السطور (سعيد الأعظمي) ؛ كما قد قام بافتتاح القاعة جماعة من الضيوف الكرام ؛ ومن بينهم (كاتب السطور) ؛ وفضيلة الشيخ أبو العاص وحيدي ؛ والشيخ شميم أحمد ؛ رئيس جامعة سراج العلوم في نيبال ؛ والشيخ إقبال أحمد المدني ؛ مدير معهد الفردوس الرحماني في لكناؤ ؛ والشيخ عبد الواحد المدني ؛ رئيس مدرسة الصفا الإسلامية "دمريا غنج" ؛ والشيخ عابد علي عبد الله السلفي ؛ أستاذ بجامعة قاسم العلوم "بلرامفور" ؛ وعدد من أفاضل العلماء والأساتذة ، وسيادة الأستاذ الدكتور مسيح الرحمن الأعظمي ؛ أستاذ الكيمياء سابقا في كلية شبلي الشهيرة في مدينة أعظمكره ، كما أن مؤسس الجامعة الأستاذ محمد نصير خان ؛ ومساعده الأخ أختر سهيل ؛ قاما بدور كبير في إنجاح المؤتمر .

وعقد بعد ذلك بيومين برنامج تعليمي لطالبات الجامعة ، ممن أسهمن فيه بإلقاء الخطب والمقالات ، كما عقد أنواع من البرامج التعليمية الأخرى ، التي كان لها تأثير عميق في نفوس سكان المنطقة الذين شهدوا لأول مرة مثل هذه النشاطات التعليمية التي تختص بالطالبات المسلمات .

٢- مدرسة دار القرآن والحديث - ببلدة تلسي فور بلرامفور (الهند)

في التاريخ نفسه زرنا مدرسة دار القرآن والحديث ؛ ببلدة تلسي فور بمديرية بلرامفور بولاية أترابراديش ؛ وحضرنا حفلة توزيع الشهادات على المتخرجين

من قسم تحفيظ القرآن الكريم ؛ مديرها فضيلة الشيخ محي الدين الطيبي الندوي ؛ والمشرف العام عليها فضيلة الأستاذ الشيخ ظهير أحمد الندوي ؛ رئيس جمعية إغاثة الطلاب المسلمين في لكناؤ ، ومؤسس مستشفى الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ؛ في لكناؤ .

وكانت الزيارة موفقة وباعثة على الخير والثقة .

٣- مدرسة دار التعليم والصنعة - في مدينة كانفور (الهند)

بمناسبة الحفل المنعقد بتاريخ ٢١/رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٢٩/سبتمبر ٢٠٠٢م لتوزيع الجوائز بين الفائزين في المسابقات الخطابية والكتابية ، زرنا المدرسة ؛ وحضرنا المناسبة ، وقد ألقى الفائزون بالجوائز كلماتهم أمام الحفل أولا ، تبعتها كلمات الضيوف ؛ والمسئولين عن المدرسة ؛ وكلمة رئيسها الحاج محمد إسحاق الذي هنأ الفائزين وباركهم ، وتمنى لهم مستقبلا سعيدا ، وقد أقام على هامش الحفل مأدبة غداء للضيوف والأساتذة ؛ وحضر المناسبة على دعوة من سعادة الرئيس ؛ سعادة الدكتور المهندس السيد وسيم أختر ؛ مدير كلية الهندسة والتقنية في مدينة لكناؤ ، فكانت مناسبة طيبة بعثت روح النشاط في طلاب المدرسة .

٤- مدرسة ضياء العلوم - في مدينة رائ بريلي (الهند)

كانت زيارتنا لهذه المدرسة على دعوة من نائب رئيس المدرسة ؛ فضيلة الشيخ بلال محمد الحسني الندوي للحضور في حفلة توزيع الجوائز بين الفائزين في المسابقات الخطابية والكتابية ؛ وذلك بتاريخ ٢٢/من رجب ٢٣هـ الموافق ٣٠/سبتمبر ٢٠٠٢م .

وقد تم توزيع الجوائز بيد كاتب هذه السطور ، وإلقاء كلمة بالمناسبة خطابا للطلاب ، و تشجيعهم على المضي في مجال التعليم والتربية الإسلامية بكل جد ونشاط ؛ والاستفادة من الوسائل المتوافرة لديهم في سبيل ذلك مع تمثيل قدوة صالحة لغيرهم ؛ ونفي التهم التي توجه إليهم من عدم الشعور بالمسئولية ؛ وإثارة الشغب في المجتمع الإنساني ؛ وما إلى من سلبيات يتهمون بها .

٥- دار العلوم فاروقية - ببلدة كاكوري بمديرية لكناؤ (الهند)

في ٢٤/من شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٢/من أكتوبر ٢٠٠٢م ؛ كانت زيارتنا لهذه المدرسة في حفلتها الثانية عشرة لتوزيع الشهادات بين

المتخرجين من حفظة القرآن الكريم ومجوديه ، وكانت مناسبة عطرة حضرها جماعة من العلماء والشيوخ ممن وجهوا خطاباتهم نحو الجماهير ، كما قد حضرها بعض المسئولين عن الحكومة ؛ والموظفين الرسميين من غير المسلمين ؛ وأشادوا بالجهود التي تبذل عن طريق هذه المدرسة في مجال التعليم والتربية .

مديرها فضيلة الشيخ عبد العلي الفاروقي الذي ينتمي إلى أسرة العلامة المرحوم ؛ إمام أهل السنة والجماعة ؛ فضيلة الشيخ عبد الشكور (رحمه الله) ، وهو من كبار علماء الهند ، له مواقف محمودة في مجال الدعوة والتبليغ ، سجلها تاريخ الهند الإسلامي بحروف ذهبية .

٦- مدرسة فلاح المسلمين - في منطقة نصيرآباد بمديرية رائ بريلي (الهند)

كانت لنا زيارة خاصة بهذه المدرسة بمناسبة انعقاد حفلة توزيع الجوائز بين الطلاب الفائزين في المسابقات الخطابية ؛ والأنشطة التعليمية ؛ وذلك بتاريخ ٢٧/من شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٥/من أكتوبر ٢٠٠٢م ، هذه المدرسة لها اتصال خاص بدار العلوم لندوة العلماء ، وقد كان سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) يخصها بزياراته ؛ ويقضي فيها بعض الوقت .

رئيسها الآن سعادة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ؛ ابن أخت سماحة العلامة الندوي رحمه الله ، وهو عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ندوة العلماء .

٧- جامعة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنه - في ولاية بهارکند (الهند)

على دعوة من مؤسسها قمت بزيارة هذه الجامعة للبنات المسلمات ؛ في ٢٩/من شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٧/من شهر أكتوبر ٢٠٠٢م بمناسبة إرساء الحجر الأساسي لمستوصف الجامعة ، وقد عقدت في المناسبة ندوة علمية ؛ حضرها رجال من أهل العلم والثقافة ؛ وجمهور من الناس .

هذه الجامعة أنشأها فضيلة الأستاذ آفتاب عالم الندوي ؛ أستاذ بدار العلوم ندوة العلماء ؛ وهو من سكان هذه المنطقة التي فيها هذه الجامعة التي نأمل

أن تكون مركزاً كبيراً لتعليم وتربية البنات المسلمات في هذه الولاية بمشيئة الله تعالى.

د. محمد الفرقاني الرحماني في مدينة لكناؤ

كان حضورنا للمعهد بمناسبة انعقاد حفلة توزيع الجوائز بين الفائزين في المسابقات الخطابية ؛ التي عقدت بتاريخ ٩/من شهر أكتوبر ٢٠٠٢م -- الموافق غرة شعبان ٢٣هـ ؛ وقد اطلعنا على النشاط التعليمي الذي يوجد بين الطلاب والأساتذة، مديرها الشيخ إقبال أحمد الأعظمي الندوي ، وهو لا يدخر وسعاً في الأخذ بوسائل مفيدة في مجال التعليم والتربية .

إصدارات جديدة :

وردت إلينا كتب إسلامية عديدة من إصدارات مركز الدعوة والإرشاد بدار العلوم الإسلامية ؛ بمدينة بستي ؛ بولاية أترابراديش الهند ؛ من بينها :

١. علوم القرآن الكريم (باللغة العربية) لفضيلة الشيخ محمد تقي العثماني ، وكان الكتاب باللغة الأردية ؛ فنقله الأخ الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي إلى اللغة العربية ، وقد تم نشره في مجلة : "البعث الإسلامي" .
٢. أصول المعاش الإسلامي (باللغة العربية) بقلم الأخ الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي ، وقد نشر الكتاب كله في مجلة : "البعث الإسلامي" .
٣. السيرة النبوية : (باللغة الأردية) للمؤلف الكريم نفسه .
٤. ترجمان الحديث : (باللغة الأردية) للمؤلف الكريم نفسه .

والمؤلف العزيز أحد الأساتذة الشباب النشطاء في دار العلوم الإسلامية ، ويشغل منصب رئيس قسم الأدب العربي فيها ، وهو مكب على الأعمال التأليفية والكتابية بجد ونشاط . (بارك الله فيه وقواه) .

* * *

إلى رحمة الله تعالى :

نعى إلينا فضيلة الشيخ المفتي محمد خبير الندوي ؛ والدته العزيزة السيدة أفسري بيجوم ، بنت الأستاذ محمد خان (أحد الموظفين الكبار في إمارة سيتافور سابقا)؛ وذلك بتاريخ ١٥/من شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٢٣/من شهر سبتمبر ٢٠٠٢م فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة من صوالح النساء ذات دين و ورع ، ملتزمة بالشريعة الإسلامية ؛ ومتبعة للسنة النبوية في حياتها ، فقد قامت بتربية أولادها على حب العلم والدين ، ومن بينهم الشيخ محمد خبير الندوي ؛ نعزيه و والده وجميع أعضاء أسرته في والدته العزيزة ، وندعو الله سبحانه أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويغفر لها زلاتها ، ويدخلها فسيح جناته مع الأبرار والصالحين من عباده .

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم ! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٤٧/عاما بالاستمرار ، وهي الآن في عامها الثامن والأربعين - والحمد لله - .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وبنيل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"

بالعنوان التالي :

مكتب "البعث الإسلامي"

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - ص. ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ص. ب٩٣ - مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)